جور فايدال

حرب أبدية لسلام أبدي

كيف أصبح الأمريكيون مكروهين



نقله إلى العربية

د. محمد بن سعود البشر





المؤلف

جور فايدال Gore Vidal، ألف ٢٢ رواية، و٥ مسرحيات، وكتب أكثر من مائتي مقالة مطولة، حائز على جائزة أفضل كتاب على مستوى الولايات المتحدة في العام ١٩٩٣م. قالت مجلة نيوزويك الأمريكية عنه: «إن جور فايدال هو أفضل كاتب أمريكي منذ عهد أدموند ويلسن».

GORE VIDAL

"The master essayist of our age." —Washington Post Book World

PERPETUAL WAR FOR PERPETUAL PEACE

HOW WE GOT TO BE SO HATED

من رواياته:

- المدينة والنصب التذكاري.
- البحث عن الملك.
- جوليان.
- واشنطن، دي. سي.
- لينكولن.
- الخلق.
- الامبراطورية.
- هوليوود.
- العصر الذهبي.

❋ ومن مسرحياته:

- مساء مع ريتشارد نيكسون.
- نهاية الأسبوع.
- الرجل الأفضل.
- زيارة لكوكب صغير.

❋ ومن مقالاته المطولة:

- زلزلة المركب.
- قضايا في الحقيقة والوهم.
- الثورة الأمريكية الثانية.
- تصفح التاريخ.
- الولايات المتحدة الأمريكية.

• الكتاب:

Perpetual War for Perpetual Peace: How We Got to Be So Hated.

• الناشر:

Thunder's Mouth Press.New York

• سنة النشر: ٢٠٠٢م.

ردمك: ٨ـ١٣٩ـ١٠ـ٩٩٦٠

ⓗ **محمد سعود البشر، ١٤٢٤هـ**

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

فايدال، جور

حرب أبدية لسلام أبدي./ جور فايدال؛ محمد سعود البشر -

الرياض، ١٤٢٤هـ

٩٩ ص، ١٧ × ٢٤سم

ردمك: ٨-١٣٩ - ١٠ -٩٩٦٠

١- الولايات المتحدة - العلاقات الخارجية أ. البشر، محمد سعود

(مترجم) ب. العنوان

ديوي: ٣٢٧,٧٣ ١٩٠٩ / ١٤٢٤

رقم الإيداع: ١٩٠٩ / ١٤٢٤

ردمك: ٨-١٣٩ - ١٠ -٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

النسخة الإلكترونية

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة للترجمة

قد يتساءل القارئ عن سبب اختيار هذا الكتاب وترجمته إلى العربية، وأخال أن الإجابة عنه مستقرة في عقل الكثير ممن يتابعون مجريات الأحداث التي تشهدها المنطقة وانعكاساتها على الشعوب العربية والإسلامية ولا تحتاج مني إلى مزيد إيضاح.

وأما شق الإجابة الآخر فمتعلق بطريقة عرض المضمون التي قدمها المؤلف إلى القارئ، إذ كانت مباشرة وصريحة وجرئية ومعبرة عن رأي الكثير من الأمريكيين الذين غيبتهم وسائل إعلامهم عن رؤية الحقيقة، أو لم يستطيعوا أن يعبروا عن آرائهم بالطريقة التي تعكس الحقيقة المغيبة.

لقد كان جور فايدال يشعر بعدم الارتياح تجاه ما ترمي إليه حكومة الولايات المتحدة في وضع حريات المجتمع المدني في مرتبة متأخرة أثناء الحرب على الإرهاب حتى قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر الشهيرة، وانتقد بسخرية لاذعة وصريحة الرأسمالية الأمريكية على الصعيدين الداخلي والخارجي. وعندما طرح جور فايدال وجهة نظره تجاه حادثتي تفجير المبنى الفيدرالي في أوكلاهوما عام ١٩٩٥م والهجمات على مدينتي نيويورك وواشنطن عام ٢٠٠١م اختلف معه البعض، لكنهم جميعاً اتفقوا على أن كتاباته كانت قوية وصريحة ولبقة

في الوقت نفسه.

قبل أن أدعك - عزيزي القارئ - تتابع فصول الكتاب أود أن أن أشير إلى حقيقتين مهمتين هما:

أولاً: عندما أنهى جور فايدال كتابه لم يجد دار نشر واحدة تنشره بالإنجليزية في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا! ولذلك نشره باللغة الإيطالية فكان من أكثر الكتب بيعاً وانتشاراً، ثم ترجمه إلى اثنتى عشرة لغة أخرى من بينها الإنجليزية.

ثانياً: تحريت في ترجمته إلى اللغة العربية الموضوعية الكاملة، فقد عرضت رأي المؤلف كما هو في الأصل. ومن الطبعي أن كل فكرة إنما تُعبر عن رأي جور فايدال ولا تعبر عن رأي المترجم.

وقد اضطرت - في مواضع قليلة - أن أحذف بعض الجمل والعبارات لمخالفتها قيمنا الإسلامية، وهي مواضع لا تخل بالسياق العام أو تؤثر في عرض الفكرة التي وردت فيها، وهذا ما يسميه المتخصصون بـ «الترجمة الحرة» التي لا تخل بالفكر الأساس ولا تصادم عقل المتلقي أو ثقافته.

أرجو أن يجد القارئ في هذا الإصدار ما يعينه على بلورة رأي، أو تسديد فكرة، أو تعزيز موقف، والحمد لله على كل حال.

أ.د. محمد بن سعود البشر

المقدمة

تقول قوانين الفيزياء: ليس هناك فعل دون رد فعل، وهذه القوانين تصدق في الطبيعة الإنسانية، أي في تاريخ الإنسان. وفي الأعوام الستة الأخيرة، هناك تاريخان جديران بالتذكرة لمدة طويلة في الولايات المتحدة الفاقدة للذاكرة United States Of America ، وهما: ١٩ أبريل ١٩٩٥م عندما فجر أحد جنود المشاة الذي يدعى تميوني ماكفي Timothy McVeigh المبنى الفيدرالي في مدينة أوكلاهوما وقتل ١٦٨ من الرجال والنساء والأطفال الأبرياء.

لماذا؟

أخبرنا ماكفي ببلاغة مطولة عن السبب، ولكن حكامنا ووسائل إعلامهم وصفوه بأنه مجنون، ومغرم بالقسوة، وأنه شخص يتلذذ بإيقاع العقوبة على الآخرين، ومنحرف، وشاذ، وليس شخصاً عادياً كبقية الأمريكيين.

وفي ١١ سبتمبر ٢٠٠١م قام أسامة بن لادن ومنظمته الإسلامية الإرهابية بضرب مانهاتن والبنتاجون. عندما أوعز أعضاء الزمرة المسيطرة على البنتاجون - المسؤولون عن شؤوننا - ببرمجة الرئيس ليعلن لنا أن أسامة بن لادن كان

«شريراً» حاسداً لما نحن فيه من نعمة وثراء وحرية.

لم تكن أي من تلك التعليلات منطقية وعاقلة، ولكن حكامنا على مدى أكثر من نصف قرن قرروا أنه يجب ألا يعرف الشعب الحقيقة عن أي شي فعلته الحكومة تجاه الشعوب الأخرى، أو الناس الآخرين، فضلاً عن أن نذكر ما فعلته تجاهنا نحن، إذا أخذنا في الحسبان حال تيميثي ماكفي. كل ما نعرفه هو أغلفة ضبابية لمجلتي التايم والنيوزويك اللتين تعرضان أصابع بشعة لأشباح غامضين يشيرون إلينا والشرر يتطاير من أعينهم، بينما تختلق صحيفة النيويورك تايمز والمطبلون لها الروايات الملفقة عن أسامة المجنون وماكفي الجبان، وهي بذلك تقنع الكثير من الأمريكيين أنه لن يجرؤ أي من هذين الشاذين على مهاجمة أمة ترى أنه لن يتكرر مثلها في تاريخ البشرية. إن الزمرة الحاكمة قد يكونون هم الذين أفرزوا مثل ماكفي، وهو أحد أبطال حرب الخليج ومن قلب الولايات المتحدة الأمريكية، ومثل أسامة الذي كان في يوم ما مدافعاً عن الإيمان.

إن مثل هذه الأشياء تحدث في وسائل الإعلام الأمريكية، ونحن القراء أو المشاهدين يجب ألا نُخْبَرَ أو نعرف سبب حدوث مثل هذه الأشياء، ومن يكون منا معنياً بمحاولة البحث عن الأسباب يجد صعوبة في فهم لغز وسائل الإعلام المدعومة من جهات لا نعرفها.

وذلك الذي اكتشفته أنا عندما حاولت أن أشرح ظاهرة ماكفي أو أحداث ١١ سبتمبر، إذ باءت كل محاولاتي للنشر بالفشل.

أما أرنو جي. ماير Arno J Mayer فقد كان أيضاً من أصحاب الأصوات المكبوتة في أحداث سبتمبر، وهو أستاذ التاريخ المتقاعد في جامعة برنستون، كانت مقالته تحمل العنوان الآتي: «التوقعات المبكرة»، ولكنها لم تجد منفذاً للنشر في الولايات المتحدة حتى في مجلة الأمة The Nation - التي كنت أعمل فيها محرراً متعاوناً لسنوات عدة، والتي رفضت نشر آرائي حول أحداث ١١ سبتمبر - لكن ماير تمكن من نشر مقالته في صحيفة ليموند الفرنسية ومما ورد في تلك المقالة:

«حتى الآن، في عصرنا المتحضر، فإن الأعمال الإرهابية التي تصدر من أشخاص كانت تمثل سلاح الضعفاء والمعوزين، بينما الأعمال الإرهابية السياسية والاقتصادية التي تصدر من الدول هي سلاح الأقوياء، وفي كلا النوعين من الإرهاب فإن من الأهمية - بالطبع - التفريق بين الهدف والضحية، وهذا التمييز كان واضحاً جداً في الضربات المميتة التي استهدفت مركز التجارة العالمي: الهدف كان رمزاً مهيمناً ومحوراً من أهم محاور القوة المالية والاقتصادية في العالم، الضحية هم سيئوا الحظ ومن كان مثلهم من القوى العاملة، ولكن هذا

التمييز لا ينطبق على ضربات مقر وزارة الدفاع (البنتاجون) لأنـه استهدف القيادة العسكرية العليا لأصحاب العولمة الرأسمالية حتى ولو أدى بلغة البنتاجون - إلى إلحاق الضرر بالإنسانية.

وفي كل الحالات فإن الولايات المتحدة منذ عام ١٩٧٤م كانت رائدة في ممارستها لإرهاب الدولة، وصاحبة المبادرات الأولى في هذا المجال وبخاصة في العالم الثالث، ولكنها كانت تخفي ذلك على نطاق واسع. فإضافة إلى تشديد الرقابة على الحكومات في أحيان، وتغيير حكومات في أحيان أخرى في مرحلة المنافسة المحمومة مع الاتحاد السوفيتي أيام الحرب الباردة، فإن واشنطن عمدت إلى أسلوب التصفية والاغتيالات السياسية من خلال الجماعات التي تنوب عنها في تنفيذها. لقد كانت أمريكا العقل المدبر في عملية قتل لومومبا Lumumba وأليند Allende ، وكانت لها محاولات فاشلة لاغتيال كاسترو والقذافي وصدام حسين، واستخدمت واشنطن الفيتو ضد كل الجهود التي بذلت لوقت انتهاكات إسرائيل للاتفاقيات الدولية، بل وحتى إرهاب الدولة الذي تمارسه إسرائيل».

ويجب عليّ أن أشير هنا إلى أن صحيفة لوموند الفرنسية تصنف على أنها صحيفة محافظة، وقد كانت لعقود مضت مؤيدة لإسرائيل.

أمـا مقالتي عـن أحـداث ١١ سبتمبر فقد نشرت باللغة الإيطالية في كتاب مثل هذا، وفي رأي كثير من النـاس، فإن تلك المقالة هي مثال لما يعرف بـ «أكثر الكتب بيعاً» وكانت كذلك، إذ تُرجِمَت إلى عشرات اللغات الأخرى.

وفي حالة ماكفي وبن لادن فقد توقعت أنه من المفيد أن أصف كثيراً من الحماقات المختلفة من جانب الولايات المتحدة التي قادت كلاً من ماكفي وبن لادن إلى مثل هذه الأعمال الإرهابية.

١١ سبتمبر ٢٠٠١ (الثلاثاء)

يقول الكوريون إن الله خلق الظلمة في يوم ثلاثاء. لم أكن بحاجة للنظر إلى التقويم لأرى هل حدث يوم ١١ سبتمبر في يوم ثلاثاء، وهو اليوم الذي أقدم فيه طيارون انتحاريون على متن طائرات تجارية على الارتطام بالمباني الأمريكية المزدحمة بالناس، والسبب في ذلك أن الثلاثاء المظلم كان يغطي ظلامه كل أنحاء مانهاتن، ولم يكن مثيراً للدهشة أنه على الرغم من أننا أنفقنا أكثر من سبعة ترليونات على ما يسمى بـ «الدفاع» منذ عام ١٩٥٠ إلا أنه لم يكن هناك إنذار بالخطر من هيئة المباحث الفيدرالية FBI أو من وكالة الاستخبارات CIA أو حتى استخبارات وزارة الدفاع، وفي الوقت الذي كان فيه أتباع الرئيس بوش يستعدون بشوق لحرب ضد كوريا الشمالية تستخدم فيها الصواريخ المتطورة، فإن أسامة بن لادن أدرك

أن كل ما يحتاج إليه في حربه ضد الكافر هو مجموعة من الطيارين الذين لديهم الرغبة في التضحية بأنفسهم، وكذلك عينة عشوائية من الركاب الذين قادهم الحظ لأن يكونوا على متن طائرات مختطفة.

كانت الاتصالات الهاتفية تنهمر عليّ وأنا أقضي الصيف في مدينة نابولي الإيطالية، وكانت الصحف الإيطالية والإذاعة والتلفزيون تريد تعليقاً على هذا الحدث، وأنا كذلك. وكنت كتبت عن بيرل هاربر Pearl Harbor ، والآن يعود إلى السؤال نفسه مرات وكرات: ألم يكن هذا اليوم كصباح يوم الأحد ٧ ديسمبر من عام ١٩٤١م؟ ثم أقول: لا، ليس مثله، وحسب معلوماتنا حتى هذه اللحظة فلم يكن هناك إنذار بالخطر عن هجوم الثلاثاء، وبالطبع فإن لدى حكومتنا الأسرار الكبيرة، والكثيرة جداً، والتي نتوقع أن أعداءنا يعرفونها بكل تفاصيلها، لكن شعبنا لن يعرفها إلا بعد سنوات، إن كان سيعرفها أصلاً. لقد أغضب الرئيس روزفلت اليابانيين حتى جعلهم يهاجموننا في بيرل هاربر، ولقد وَصَفْتُ كل خطوات الرئيس في هذا الصدد في كتابي «العصر الذهبي» لكننا الآن نعرف ما الذي كان يدور في ذهن الرئيس روزفلت. لقد ساعد إنجلترا ضد حليف اليابان، هتلر، وهي التراجيديا التي انتهت بمأساة تجاه الجنس البشري بأكلمه. ولكن ما الذي كان – ولا يزال – في

ذهن أسامة بن لادن؟

لقد كانت وسائل الإعلام الأمريكية لعقود متعددة تصف العالم الإسلامي بأوصاف مزيفة، وتعد المسلمين شياطين. ولأنني أمريكي مخلص فإنه ليس من المفترض أن أخبركم بسبب ذلك، وعلى الرغم من ذلك فإنه ليس غريباً أن نتساءل عن سبب حدوث الأشياء.

إننا ببساطة نتهم الآخرين بأن لديهم الطبيعة الشريرة والمؤذية ولذلك يقول جورج واشنطن: «إننا الخير والآخرون هم الشر». وهذه المقولة كل ما نريد قوله. **أكد بوش ما قاله جورج واشنطن في جلسة مشتركة للكونجرس عندما قال: «إنهم يكرهون ما يشاهدونه هنا في هذه القاعة» وهي إشارة إلى صورة مزيفة عن الإسلام، متأصلة في عقليته وعقلية أعضاء الكونجرس.** لقد توقعت أن ملايين الأمريكيين هزّوا رؤوسهم بحزن أمام أجهزة التليفزيون. ثم استطرد الرئيس بوش قائلاً: «إن قياداتهم تُعيّن نفسها. إنهم يكرهون حرياتنا: حرية التدين، حرية التعبير، حرية التصويت، والتجمع والاختلاف مع بعضنا» وفي هذه اللحظة الحزينة جفت حلوق الكثير من الأمريكيين.

هل أثبت ابن الأربعة والأربعين عاماً، أسامة بن لادن، أنه هو اللاعب المقبل؟ إننا لا نزال نعرف القليل عنه، لقد دخل أسامة

بن لادن التاريخ عندما كان مقاتلاً في جماعة كانت تتعاون مع وكالة المخابرات الأمريكية CIA ضد السوفيت المحتلين أفغانستان. هل كان مناهضاً للشيوعية؟ هذا سؤال ليست له علاقة بالموضوع، لم يكن أسامة يرى أحداً من الكافرين في العالم الإسلامي.

لقد وصف ابن لادن بأنه مليونير، وورث عن أبيه - مع إخوته البالغ عددهم خمسة وأربعين - ثروة طائلة من بلايين الدولارات، أقنع أسامة بن لادن الآلاف من العرب بالذهاب إلى أفغانستان لتقوم منظمته بتدريبهم عسكرياً. في عام ١٩٩١م ذهب إلى السودان، وفي عام ١٩٩٤م، كان أسامة قد أصبح رمزاً في العالم الإسلامي، لقد كان يقول إنني سأتخلص منكم، لا شك أن هناك عالماً أخر يقصده أسامة، ومن سوء الطالع فقد كانت أمريكا هي العالم المقصود.

لقد قدم أسامة بن لادن نفسه كقائد مؤهل لتحرير العالم الإسلامي من الشيطان الأكبر الذي يمثل الفساد المتحضر، وذلك في «وثيقة حرب» تتكون من اثنتي عشرة صفحة، وقامت منظمته بنسف سفارتين أمريكيتين في أفريقيا، وضرب المدمرة الأمريكية البحرية في سواحل اليمن. وكما قام كلينتون بتوجيه صاروخ ضرب مصنعاً للأدوية في السودان، كذلك فعل جورج بوش، إذ وعد الشعب الأمريكي «بحرب سرية»

وليست حرباً جديدة فقط، وفي كل الحالات – كما يبدو من حركة عينية – فإنها ستكون «حرباً طويلة جداً»، وقال أيضاً: «إن الإدارة الأمريكية لن تتحدث عن الخطط التي ستكون لديها، سنسعى للقبض على زمرة الشر وسيكونون مسؤولين عن كل ما حدث»، ومن ضمنهم كل الذين كانوا عوناً لهم ومدافعين عنهم.

وفي أول أشهر عام ٢٠٠٢م ادَّعت زمرة البنتاجون أن تدمير أفغانستان بواسطة قواتنا الجوية كان نصراً عظيماً «ولم يذكر أحد أن الأفغان كانوا أعداء أمريكا». وكانت هذه المأساة مثل تدمير مدينة بأكملها لمطاردة المافيا. وفي كل الحالات فإننا لا ندري ما الشيء الذي كسبناه أو خسرناه (باستثناء ما يعرف بوثيقة حقوق الإنسان).

إن رامسفيلد أحد أعضاء زمرة البنتاجون، وهو ممثل ساخر وموهوب، كان يومياً يهزأ بمجموعات كبيرة من الصحفيين في أوقات البث الرئيسة في التلفزيون، لم يكن يخبرنا عن مكاسبنا أو خسائرنا، لقد كان يعتقد أن أسامة، الخطيب المفوه، كان محاضراً في أحد الكهوف على الحدود الباكستانية مع أفغانستان وليس مقيماً في أحد قصور ماليزيا أو أندونيسيا، وهما دولتان يحبهما أسامة ولا تعجبان الأمريكيين.

عندما كان أسامة في الرابعة من عمره كنت في القاهرة لإجراء مقابلة صحفية مع جمال عبدالناصر بغرض نشرها في

مجلة لوك Look. استقبلني محمد حسنين هيكل، وهو إذا ذاك كبير مستشاري الرئيس جمال عبدالناصر، ولم يسمح لأحد أن يرى الرئيس نفسه إذ كان يقيم في ملجأ له على النيل بعد نجاته من محاولة اغتيال تعرض لها، لقد كان هيكل يتحدث بإنجليزية ممتازة.

قال هيكل بطريقة تهكمية ساخرة: «**إننا ندرس القرآن الآن للبحث عن إشارات تتعلق بموضوح تحديد النسل**» ثم تنهد. قلت له: لم تجدوا شيئاً؟ قال «**ليس بعد، ولا نزال ننظر في النص**». كنا نتحدث مع الرئيس لمدة أسبوع، يريد عبدالناصر أن يجعل مصر دولة متحضرة، ولكن هناك عناصر دينية، يتوقف هيكل ثم يتنهد بشدة: «**ياللعجب، لقد اكتشفنا شيئاً غريباً، إن أولاد القرية الصغار والجميلين منهم الذين علمناهم ليكونوا مهندسين وكيميائيين ارتدوا علينا متدينين**».

قلت له: جناح متشدد؟

قال هيكل: جد متشدد.

لقد كان هيكل الإبن الروحي لعصر التنوير في القرن الثامن عشر.

تذكرت هيكل في يوم الثلاثاء الأسود عندما شذّ أحد أبناء العرب المتحضرين، باسم الإسلام، عن النموذج الناصري للدولة العصرية. إنه أسامة بن لادن الذي كان نموذجاً عملياً

للمهندسين الذين أصبحوا متدينين، والذين تحدث عنهم هيكل. ومن الطبعي أن نفهم أن أسامة يكره الولايات المتحدة كرمز وكحقيقة، وعندما جاءت القوات الأمريكية للخليج أطلق أسامة على العدو اسم «التحالف الصهيوني الصليبي»، وهو بهذا قدم نفسه للآخرين، وَذكرَّ منتقديه بأنه مسلم وهابي، وأعلن أنه سيشن حرباً على الولايات المتحدة «رأس الحية» كما يسميها، وأنه سيُخلص العالم الإسلامي من التبعية للغرب. إن كلمة «الصليبي» تعني الخيانة، ومن وجهة نظر كثير من المسلمين فإن الغربي النصراني، وهو المتحالف الآن مع الصهوينية، حاول منذ الآف السنين ولا يزال السيطرة على أرض الأمة الإسلامية ومقدراتها، وهذا هو السبب في أن الكثير من العامة يعدون أسامة بن لادن الوريث الصادق لصلاح الدين، الملك المقاتل العظيم الذي هزم ريتشارد إنجلترا والصليبين معه.

من هو صلاح الدين؟

كان صلاح الدين كردياً أرمينياً عاش بين عام ١١٣٨ - ١١٩٣م، وفي القرن الذي سبق ولادته كان النصارى الغربيون قد أسسوا مملكة في القدس، وهو ما يمثل تخوفاً ورعباً شديداً بالنسبة للمسلمين الصادقين، وهو ما يشبه في هذا الوقت استخدام الولايات المتحدة حرب الخليج كمقدمات للاحتلال، أعد صلاح الدين جيشاً لطرد الصليبين وفتح به مصر،

واستولى على سوريا، وحطم مملكة النصارى في القدس في حروب دينية أظهرت المسلمين على الصليبيين. وحدّ صلاح الدين العالم الإسلامي، وجعل ريتشارد قلب الأسد يستسلم وهو الجنرال والمقاتل الأفضل في وقته.

وكما يقول أحد المؤرخين فإن صلاح الدين وحّد المسلمين وجعلهم يقبلون التضحية للهدف الأسمى الذي كانوا يقاتلون من أجله. لكن صلاح الدين لم يترك بعده حكومة ولا نظاماً سياسياً.

إن روح صلاح الدين عادت إلينا تحمل معها الثأر والانتقام

إدارة بوش، على الرغم من أنها غير كفؤ إلا في مهمتها الرئيسة التي تستثني الأغنياء من الضرائب، مزقت كل الاتفاقات التي كانت تشترك فيها الأمم المتحضرة، مثل معاهدة كيوتو واتفاقات نزع الصواريخ النووية مع روسيا، وأنصار بوش والمؤيدين له شرعوا في نهب خزينة الدولة بشكل نهم غير مسبوق، والآن - والشكر لأسامة بن لادن - بدأوا في نهب خزينة الأمن الاجتماعي (وهي الخزينة التي يفترض ألا يمسها أحد) بدعوى الشروع في حرب تكلف الدولة ثلاثة بلايين دولار شهرياً، وقد منحوا وكالة المباحث الفيدرالية FBI ووكالة الاستخبارات CIA الضوء الأخضر في أن يقوموا بعمليات القتل

والتصفية، وفي هذا الصدد يقول الرئيس بوش للعالم: «**إما أن تكونوا معنا أو مع الإرهابيين ضدنا**»، وكأنه يطلب من العالم بهذه المقولة أن يكونوا كلهم مع الإرهابيين.

وبوليس الدولة.. ماذا يعني؟

في ابريل عام ١٩٩٦م، بعد سنة من حادث تفجير مدينة أوكلاهوما، وقَّع الرئيس بيل كلينتون على قانون مكافحة الإرهاب وقانون عقوبة الموت، وهو ما كان يسمى بـ «وثيقة المؤتمر» التي أعدتها الأيدي القذرة، بمن فيهم زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ روبرت دول R.Dole، وعلى الرغم من أن بيل كلينتون فاز بالانتخابات، وفعل أشياء لا يمكن وصفها بأنها حكيمة، لكن كلينتون واجه الداعين لتطبيق قوانين الإرهاب التي بالغت في منح صلاحيات واسعة غير مسبوقة. فهذه القوانين تعطي المحامي العام السلطة في استخدام العاملين في الخدمة العامة المسلحين ضد أفراد الشعب المدنيين، وهي بذلك تلغي قانون الأمن لعام ١٨٧٨، كما أنها عطلت قانون كل أمر قضائي يتضمن المثول أمام المحكمة، وهذا هو أساس الحرية الأمريكية.

إن هناك علامات تبعث على الشؤم، تشير إلى أن حرياتنا الهشة تعيش في حالة خطر منذ السبعينيات عندما اكتشف أصحاب القمصان البيضاء و«البذلة» الزرقاء، وكالة

المخابرات الفيدرالية FBI الذين ولدوا في أحضان جنرالات درسوا القانون والمحاسبة، أنهم أصبحوا أمام نوع جديد من المواجهات، وبدأوا يلبسون زياً يوحي بالخوف والرهبة من حيث العتاد العسكري الذي يحملونه أو من خلال الشكل، كأن يظهروا بشكل السلاحف السوداء، وفي بداية عقد الثمانينات تشكلت الفرقة ٢٧٠ لإنقاذ الرهائن، إحدى فرق وكالة المباحث الفيدرالية، وكما يحدث غالباً في الولايات المتحدة، فإن هذه الفرقة لم تتخصص في إطلاق سراح الرهائن المحتجزين أو الحفاظ على أرواحهم، بل في الهجوم المميت على المجموعات التي تدافع عنها. لقد حصل ذلك في حادث الديفيديين النصارى (أتباع ديفيد قورش) الذين كانوا يعيشون في أمن وسلام في حيهم السكني في مدينة واكو بولاية تكساس حتى داهمتهم الفرقة مستخدمة الدبابات العسكرية وقتلت ٨٢، منهم ٢٥ طفلاً وكان ذلك في عام ١٩٩٣م.

وبعد الثلاثاء الأسود فإن هذه الفرقة يمكن أن تستخدم بتكليف من وكالة المباحث الفيدرالية لملاحقة العرب الأمريكيين، أو غيرهم ممن يشتبه فيه، بدعوى مطاردة الإرهاب، وهي الكلمة التي ليس لها تعريف قانوني، لقد قال كلينتون بعد انفجار أوكلاهوما: إن الذين لا يؤيدون تشريعاته القاسية هم مؤيدون للإرهابيين الذين يريدون أن تكون أمريكا مكاناً آمناً له. إذا

كان هذا كلام كلينتون فماذا نتوقع من بوش بعد حادث الثلاثاء الشهير؟

الذين فزعوا من صيحة بوش الأبن عندما قال: «إننا الآن في حرب» مع أسامة بن لادن وضعوا الأغطية بسرعة على تفكيرهم الجمعي، ولأن الدولة لا يمكن أن تكون في حرب إلا مع دولة أخرى فلماذا نعلن صرخة الحرب؟

فكروا بجدية في هذا وستعرفون أن الجواب هو أن شركات التأمين تبحث عن مبرر حتى لا تدفع أموالاً مقابل ما قد يحدث من أضرار جراء إعلان الحرب. وعلى الرغم من أن الذين حول الرئيس من الرجال والنساء لا يعرفون شيئاً عن الحرب ويعرفون قليلاً عن الدستور فإنهم يعرفون معنى «زيادة الدخل»، وفي مثل حالة الحرب هذه فإن البنوك النهمة ستمول الجمهوريين لسنوات طويلة. لقد قالت صحيفة الوشنطن بوست إنه في ظل القانون الأمريكي فإن الدولة ذات السيادة، (التي لا تحكمها مجموعة من الراديكاليين المتزمتين) هي التي يمكن أن تعلن الحرب، ولكن جورج دبليو بوش فعلها وهذا يعني الآن أن الضرائب التي ندفعها ستكفل بقاء شركات التأمين وثرائها، وهي ميزة لم يحظ بها كبار السن في مجتمعنا.

على الرغم من أن الشعب الأمريكي ليست له وسائل مباشرة في التأثير على الحكومة فإن رأيه يظهر من خلال استفتاءات

الـرأي، وبنـاء على الاستفتاء الذي قامت به شبكة سي إن إن CNN والتايم Time في نوفمبر من عام ١٩٩٥م فإن نسبة ٥٥٪ من الشعب الأمريكي يعتقدون أن الحكومة الفيدرالية أصبحت قوية ومخيفة إلـى درجـة تمثل تـهـديـداً لحقوق المواطنين العادييين! وبعد ثلاثة أيام من يوم الثلاثاد الأسود قال ٧٤٪ من الشعب الأمريكي إنهم يعتقدون أنه من الضروري التنازل عن بعض حقوقهم الشخصية، بينما قال ٨٦٪ منهم أنهم يفضلون أن تكون هناك أجراس إنـذار في البنايات العامة وعند وقوع الأحداث، وفي الوقت الذي يقيم فيه بوليس الدولة في أماكن آمنة ومريحة فلأي منا أن يتخيل ديك تشيني ودونالد رامسفيلد وهما يقرآن تلك الأرقام قراءة مصحوبة بالتندر والضحك.

يبدو أن وسائل إعلامنا الفاقد للذاكرة نسيت أننا في يوم ما كنا ندعم صدام حسين في حربه ضد إيـران، واعتقد صدام - بشكل غير طبعي - أننا سنسمح له باحتلال آبـار النفط الكويتية، وبين عشية وضحاها أصبح الأمريكيون شياطين، وبقيت هذه الصورة مع استمرار الولايات المتحدة في تعذيب الشعب العراقي وتضييق الخناق عليه حتى يثور على رئيسه، وهو ما فعلناه مع الشعب الكوبي عندما ضربت الولايات المتحدة حصاراً اقتصادياً صارماً حتى يغضب الشعب الكوبي ويثور ضد كاسترو بعد أن فشل كيندي ورفاقه في قتله إبان العملية

العسكرية التي أطلق عليها اسم «عملية النمس».

والذي يظهر الآن أن الاستبداد والازدراء الأمريكي بالجيل العربي المتعلم تسببا في ظاهرة أسامة بن لادن التي برزت في عام ٢٠٠١م عندما تسنم الرئيس الأمريكي الضعيف سدة القيادة في البيت الأبيض في ظروف لا تزال تثير الكثير من علامات الاستفهام.

إن صحيفة النيويورك تايمز وعاء الرأي في الولايات المتحدة وتريد أن تقف شامخة، أو هي تحاول أن تكون كذلك. لقد كانت افتتاحيات النيويورك تايمز وأعمدة الرأي فيها بعيدة عن الرقابة، كانت النيويورك تايمز مبتهجة بعد الأحداث لأن تكون وعاء الرأي للأمريكيين، ولذلك كانت تزيِّف الكثير من الحقائق وتهيج مشاعر الرئيس ومن معه، والشعب الأمريكي بأكمله للشروع في حرب مع المجهول قد تؤذي أمريكا على المدى الطويل، بل في المستقبل القريب أيضاً.

هل علمتم سبب أن وسائل إعلامنا فاقدة للذاكرة؟ إنها تتعامل مع الأحداث ولا تحاول أن تقرأ التاريخ القريب لتعرف الأسباب التي كانت وراء الأحداث. إن صدام حسين مع الشعب العراقي وفيدل كاسترو مع الشعب الكوبي مثالان يوضحان الفجوة بين معرفة السبب ومحاولة الوصول إلى النتيجة.

إن وليام باف William Pfaff كعادته كان هو الكاتب السياسي الذي كانت كتاباته عاقلة ومتزنة وبخاصة مقالته التي نشرها في صحيفة الهيرالدتربيون Herald Tribune في ١٧ سبتمبر ٢٠٠١م. لم يكن كغيره من الكتبة السذج ذوي التفكير المحدود الذين يعشقون الحرب في صحيفة النيويورك تايمز، بل كان فزعاً من رفض رئيس أمريكا خدمة بلده في حرب فيتنام وصراخه لشن حرب ضد رجل واحد وشركائه في الجريمة، وليس على أمة أخرى أو حتى دين آخر. يقول باف: «إن الإجراء الذي ينبغي أن تتخذه الدولة المتحضرة التي تؤمن باللّه وبالمجتمع الإنساني وتحارب الشيطان هو أن تكون مركزة في تصرفاتها وعاقلة في تدابيرها. الصواريخ أسلحة غير نافذة، وأولئك الإرهابيون على درجة عالية من الذكاء بحيث يجعلون الآخر يتحمل ثمن ما يفعلونه هم، ويجيّرون النتائج في النهاية لمصلحتهم. إن رد فعل الولايات المتحدة المجنون تجاه ما حدث في ١١ سبتمبر ساعد على تغذية مشاعر الغضب والكراهية تجاهها، وهي مشاعر كانت موجودة قبل ذلك. **إن ما تحتاج إليه الولايات المتحدة الآن هو التفكير الهادئ لمعرفة الأسباب التي جعلتها تتعرض لمثل تلك الأحداث**، بل عليها أيضاً أن تتنبأ بالكوارث التي قد يحملها المستقبل».

الحرب ليس فيها منتصر، بل كل أطرافها خاسرون، ولقد

حان الوقت لأن يقوم الأمين العام للأمم المتحدة بمهمته الطبيعية والفاعلة، ومهما كان الثآر مجيداً ورائعاً لمحبي الحروب الذين يعيشون بيننا، فإن الهدنة بين صلاح الدين والصليبيين الصهاينة باتت أمراً لازماً ورغبة لكل الإنسانية، ويجب على كوفي عنان أن يتوسط بين الشرق والغرب قبل فوات الأوان وقبل أن تغرق السفينة.

إن الدمار المرعب الذي فعله أسامة بن لادن وأتباعه في يوم الثلاثاء الأسود لا يقارن بما أصاب حرياتنا من ضربات قاصمة جعلتها تبدو كأنها تتلاشى. إن قانون مكافحة الإرهاب الذي صدر عام ١٩٩٦م والمطالب الحالية من الكونجرس لمزيد من الصلاحيات من أجل التجسس على الآخرين دون أمر قضائي، وترحيل المقيمين الشرعيين من الولايات المتحدة، ومضايقة الزائرين وإغلاق الأبواب دونهم، ورفض المهاجرين الذين لم يثبت رسمياً تورطهم في أعمال إرهابية، كل ذلك وغيره يمثل تهديداً للحريات التي كنا ننعم بها. معتقلات جوانتانامو في كوبا تغص الآن بمئات الأبرياء، ولا أحد يعلم هل المقيمون فيها هم أسرى حرب أم حفنة من الشريرين، وعلى أية حال فإنهم اختُطِفوا في أفغانستان من قبل القوات المسلحة،والذي يبدو أنهم سيمثلون أمام محاكم الكناغر، إذا قدر لهم أن يغادروا أقفاصهم.

إقرأوا هذا النص، وهو نص قيل قبل ظاهرة أسامة بن لادن: «إن فرض القيود على الحريات الشخصية، مثل حرية الرأي والتعبير، وحرية الصحافة، وحرية التجمع وإنشاء المؤسسات، والتجسس على البريد الشخصي والتلجراف والاتصالات، وتفتيش المنازل، وأوامر مصادرة الممتلكات، والحجر على الملكيات الشخصية هي إجراءات مسموح بها ولو كانت تمثل خرقاً للقوانين»، أليست هذه المقولة مألوفة؟ هل هي مقولة كلينتون؟ أم بوش؟ أم وزير العدل أشكروفت؟ لا إنها مقولة لهتلر في خطاب له طالب بسن تشريع يبيح ذلك كله بدعوى حماية الشعب والدولة! قالها بعد كارثة حريق ريستاج التي أخفاها النازيون وفرضوا عليها سرية تامة.

فقط باربرا لي Barbra Lee عضو الكونجرس عن ولاية كاليفورنيا هي التي صوتت ضد منح الرئيس صلاحيات إضافية.

وفي الوقت نفسه أظهر استفتاء للرأي أجرته صحيفة النيويورك تايمز وشركة تليفزيون CBS أن ما نسبته ٦٪ فقط يعارضون عملاً عسكرياً تجاه الإرهاب، بينما الغالبية كانوا موافقين على خيار الحرب حتى ولو كان ذلك سيؤدي إلى قتل الالآف من المدنيين الأبرياء.

أقرأوا معي ما بين السطور، ألا يوحي هذا السيناريو من الكونجرس ومن وسائل الإعلام بنوع من الاتفاق بين ما يقال

الآن في الولايات المتحدة وبين ما قاله هتلر؟

منذ عام ١٩٤٥م، وهو العام الذي انتهت فيه الحرب العالمية الثانية وتحقق انتصارنا على اليابان ونحن في دوامة وصفها المؤرخ تشارلز بيرد Charles A. Beard بعبارة: «حرب أبدية لسلام أبدي» وكنت أشير إلى ذلك بعبارة «العدو الشهري» وتعني أننا في كل شهر نواجه عدواً مرعباً يجب علينا أن نضربه قبل أن يقضي علينا. لقد وصفني بعضهم بأنني أبالغ كثيراً، ولكن عليكم أن تتأملوا القائمة التالية التي تبدأ من كوسوفا في عام ١٩٩٩م وتنتهي بجسر برلين الجوي بين عام ١٩٤٨ - ١٩٤٩م وهي قائمة أعدها اتحاد العلماء الأمريكيين Federation of American Scientists وأحصى فيها الاتحاد الحروب والعمليات العسكرية التي اشتركت فيها الولايات المتحدة وكانت بادئة فيها، أو الأعمال العسكرية التي تبنتها بدعوى «حرب المخدرات».

• العمليات العسكرية الحديثة

اسم العملية	المكان	التاريخ	قوام القوات الأمريكية
الحراسة المشتركة	كوسوفا	١١ يونيو ١٩٩٩	—
القوات المشتركة	كوسوفا	٢٣ مارس ١٩٩٩ ـ ١٠ يونيو ١٩٩٩	—
القوات الفاصلة	كوسوفا	٨ أكتوبر ١٩٩٨ ـ ٢٣ مارس ١٩٩٩	—
الشعاع الفضي	كوسوفا	غير معلوم	—
الأمل المشع	كوسوفا	غير معلوم	—
الأمل الباقي	كوسوفا	غير معلوم	—
حماية اللاجئين	كوسوفا	٥ أبريل ١٩٩٩ ـ شتاء ١٩٩٩	—
السلاح المفتوح	كوسوفا	غير معلوم	—
عين النسر	كوسوفا	١٦ أكتوبر ١٩٩٨ ـ ٢٤ مارس ١٩٩٩	—
عمليات الصقر الفاصلة	كوسوفا ـ ألبانيا	١٥ ـ ١٦ يونيو ١٩٩٨	—
الجهود الفاصلة	البوسنة والهرسك	يوليو ١٩٩٥ ـ ديسمبر ١٩٩٥	—
المساعي المشتركة	البوسنة والهرسك	ديسمبر ١٩٩٥ ـ ديسمبر ١٩٩٦	—
الحراسة المشتركة	البوسنة والهرسك	ديسمبر ١٩٩٦ ـ ٢٠ يونيو ١٩٩٨	—
العمليات المشتركة السريعة	البوسنة والهرسك	٢٠ يونيو ١٩٩٨ حتى الآن	٦٩٠٠
العمليات المدروسة	صرب البوسنة	٢٩ أغسطس ١٩٩٥ ـ ٢١ سبتمبر ١٩٩٥	—
عمليات الإلغاء السريع	كرواتيا	٣ يوليو ١٩٩٥ ـ ١١ أغسطس ١٩٩٥	—
المراقبة العشوائية	ألبانيا	١ يوليو ١٩٩٥ ـ ٥ نوفمبر ١٩٩٦	—
المساعي التائهة	تازار ـ هنغاريا	مارس ١٩٩٦ ـ حتى الآن	—
الحراسة المشددة	صربيا ـ مقدونيا	٥ يوليو ١٩٩٤ ـ حتى الآن	—
الهروب المرفوض	البوسنة والهرسك	١٢ أبريل ١٩٩٣ ـ ٢٠ ديسمبر ١٩٩٥	٣٠٠٠
المساعي الحاسمة	البوسنة والهرسك	يناير ١٩٩٦ ـ ديسمبر ١٩٩٦	—
الحراسة المشددة	البوسنة والهرسك	ديسمبر ١٩٩٦ ـ يناير ١٩٩٨	—
العمليات السريعة الحاسمة	البوسنة والهرسك	٢٠ يونيو ١٩٩٨ ـ حتى الآن	—
مراقبة الأجواء	البوسنة والهرسك	١٦ أكتوبر ١٩٩٢ ـ حتى الآن	—
المراقبة البحرية	البحر الأدرياتيكي	١٦ يوليو ١٩٩٢ ـ ٢٢ نوفمبر ١٩٩٢	—
الحراسة البحرية	البحر الأدرياتيكي	٢٢ نوفمبر ١٩٩٢ ـ ١٥ يونيو ١٩٩٣	—
الحراسة الحاسمة	البحر الأدرياتيكي	١٥ يونيو ١٩٩٣ ـ ديسمبر ١٩٩٥	١١,٧٠٠
التعزيز الحاسم	البحر الأدرياتيكي	ديسمبر ١٩٩٥ ـ ١٩ يونيو ١٩٩٦	—
الحراسة الحاسمة	البحر الأدرياتيكي	ديسمبر ١٩٩٦ ـ حتى الآن	—
الوعد الواقي	البوسنة	٣ يوليو ١٩٩٢ ـ مارس ١٩٩٦	١٠٠٠

• عمليات أخرى

اسم العملية	المكان	التاريخ	قوام القوات الأمريكية
كوريا	كوريا	لا تزال مستمرة	—
الآفاق الجديدة	أفريقيا الوسطى	لا تزال مستمرة	—
سيراليون	سيراليون	مايو ٢٠٠٠	—
مونوك	الكونغو الديموقراطية	فبراير ٢٠٠٠ ـ حتى الآن	—
الرد الجازم	أفريقيا	أغسطس ١٩٩٨ ـ حتى الآن	—
حارس البوابة	كاليفورنيا	١٩٩٥ ـ حتى الآن	—
ردع الأسد	تكساس	١٩٩٥ ـ حتى الآن	—
العمليات الوقائية	أريزونا	١٩٩٥ ـ حتى الآن	—
الطائر الذهبي	هندوراس	مارس ١٩٨٨ ـ حتى الآن	—
التحالف	الحدود الجنوبية للولايات المتحدة	١٩٨٦ ـ حتى الآن	—
حماية الأمل ١	الاتحاد السوفيتي السابق	١٠ ـ ٢٦ فبراير ١٩٩٢ م	—
حماية الأمل ٢	الاتحاد السوفيتي السابق	١٥ أبريل ١٩٩٢ ـ ٢٩ يوليو ١٩٩٢م	—
حماية الأمل ٣	الاتحاد السوفيتي السابق	؟١٩٩٣ ـ ؟ ١٩٩٣م	—
حماية الأمل ٤	الاتحاد السوفيتي السابق	١٠ يناير ١٩٩٤ ـ ١٩ ديسمبر ١٩٩٤	—
حماية الأمل ٥	الاتحاد السوفيتي السابق	٦ نوفمبر ١٩٩٨ ـ ١٠ مايو ١٩٩٩	—

• حرب المخدرات

اسم العملية	المكان	التاريخ	قوام القوات الأمريكية
التاج الساهر	وسط وجنوب أمريكا	١٩٩١ـ حتى الآن	—
تاج السنديان	وسط وجنوب أمريكا	أكتوبر ١٩٧٧ـ ١٧ فبراير ١٩٩٩	—
القماش الأخضر	كولومبيا	١٩٩٥ـ حتى الآن	—
الشارة	ولاية كنتاكي	١٩٩٠ـ حتى الآن	—
الشيطان الراقص	ولاية أوريجن	١٩٩٠ـ حتى الآن	—
النصر الأخضر	ولاية كاليفورنيا	يوليو ١٩٩٠ـ أغسطس ١٩٩٠	—
العمليات الرمادية	ولاية كاليفورنيا	١٩٩٠ـ حتى الآن	—
العمليات المدمرة	هاواي	١٩٩٠ـ حتى الآن	—
منطقة الشياطين	بوليفيا	مارس ١٩٩٠ـ ؟١٩٩٣	—
المراقبة المخلصة	بوليفيا	١٩٩؟ـ ؟؟	—
دعم العدالة	جنوب أمريكا	١٩٩١ـ ١٩٩٤	—
الدولة المستقرة	جنوب أمريكا	١٩٩٤ـ أبريل ١٩٩٦	—
البرسيم الأخضر	جنوب أمريكا	١٩٩؟ـ ١٩٩؟	—
الهجوم الليزري	جنوب أمريكا	أبريل ١٩٩٦ـ حتى الآن	—
الطريق الحديدي	الكونجو	١٩٨٩ـ ؟؟؟	—
مساندة إله أوبس (إله الحصاد عند الرومان)	الكونجو	؟؟؟ـ حتى الآن	—

• العمليات العسكرية المكتملة

اسم العملية	المكان	التاريخ	قوام القوات الأمريكية
الوعد الصامت	موزمبيق. جنوب أفريقيا	فبراير ٢٠٠٠ ـ ؟ أبريل ٢٠٠٠	.
الرد النهائي	فنزويلا	٢٠ديسمبر ١٩٩٩ ـ أوائل عام ٢٠٠٠	.
حفظ التوازن	تيمور	١١ سبتمبر ١٩٩٩ ـ نوفمبر ١٩٩٩	.
الرد القاطع	تركيا	٨ أغسطس ١٩٩٩ ـ سبتمبر ١٩٩٩	.
المساندة القوية	أمريكا الوسطى	أكتوبر ١٩٩٨ ـ ١٠ فبراير ١٩٩٩	٥٧٠٠
الانتصار المطلق	السودان ـ أفغانستان	٢٠ أغسطس ١٩٩٨	.
مغامرة الرئيس	غينيا بيساو	١٠ يونيو ١٩٩٨ ـ ١٧ يونيو ١٩٩٨	١٣٠
(بدون)	أسمرة (أريتريا)	٥ يونيو ١٩٩٨ ـ ٦ يونيو ١٩٩٨	١٣٠
الرد النبيل	كينيا	٢١ يناير ١٩٩٨ ـ ٢٥ مارس ١٩٩٨	.
الجرف المائل	كمبوديا	يوليو ١٩٩٧	.
النُّصب النبيل	سيراليون	مايو ـ يونيو ١٩٩٧	.
إعادة الحرس	الكونجو (زائير)	مارس ـ يونيو ١٩٩٧	.
الساهر الفضي	ألبانيا	١٤ـ٢٦ مارس ١٩٩٧	.
مساعدة الحرس	زائير، رواندا، أوغندا	١٥ نوفمبر ١٩٩٦ ـ ٢٧ ديسمبر ١٩٩٦	.
العمليات الآمنة	زائير، رواندا، أوغندا	١٥ نوفمبر ١٩٩٦ ـ ٢٧ ديسمبر ١٩٩٦	.
الرد السريع	جنوب أفريقيا	مايو ١٩٩٦ أغسطس ١٩٩٦	.
الرد الآمن	ليبيريا	أبريل ١٩٩٦ ـ أغسطس ١٩٩٦	.
زورو ٢	المكسيك	ديسمبر ١٩٩٥ ـ ٢ مايو ١٩٩٦	.
الأزمة التايوانية الثالثة	تايوان	٢١ يوليو ١٩٩٥ ـ ٢٣ مارس ١٩٩٦	.
الحدود الآمنة	البيرو ـ الأكوادور	١٩٩٥ ـ ٣٠ يونيو ١٩٩٩	.
الدرع المتحدة	الصومال	٣ يناير ١٩٩٥ ـ ٢٥ مارس ١٩٩٥	٤٠٠٠
إعادة الديمقراطية	هاييتي	١٩ سبتمبر ١٩٩٤ ـ ٣١ مارس ١٩٩٥	٢١٠٠٠
تعزيز الأمل	رواندا	٢٢ يوليو ١٩٩٤ ـ ٣٠ سبتمبر ١٩٩٤	٢,٥٩٢
الفردوس الآمن	كوبا ـ بنما	٦ سبتمبر ١٩٩٤ ـ ١ مارس ١٩٩٥	.

اسم العملية	المكان	التاريخ	قوام القوات الأمريكية
إشارة البحر	هايتي، جوانتانامو(كوبا)	١٨مايو١٩٩٤- فبراير١٩٩٦	-
العدو البعيد	رواندا	٩ أبريل١٩٩٤- ١٥ أبريل١٩٩٤	-
أزمة الصواريخ النووية الكورية	كوريا الشمالية	١٠فبراير١٩٩٣- يونيو١٩٩٤	-
بدون	ليبريا	٢٢أكتوبر١٩٩٢- ٢٥ أكتوبر١٩٩٢	-
حماية اللاجئين	الصومال	١٤أغسطس١٩٩٢- ٨ ديسمبر١٩٩٢	-
إعادة الأمل	الصومال	٤ ديسمبر١٩٩٢- ٤ مايو١٩٩٣	٣٦٠٠٠
الأمل المستمر	الصومال	٤مايو١٩٩٣- ديسمبر١٩٩٣	-
حماية الانتقال	أنغولا	٣ أغسطس١٩٩٢- ٩ أكتوبر١٩٩٢	-
أرض الحديقة	مدينة لوس أنجلوس	مايو١٩٩٢	٤٥٠٠
السندان الفضي	سيراليون	٢مايو١٩٩٢- ٥ مايو١٩٩٢	-
GTMO	هايتي، جوانتانامو (كوبا)	٢٣ نوفمبر١٩٩١	-
الملاذ الأمن	هايتي، جوانتانامو (كوبا)	١٩٩٢	-
رفع الحصار العاجل	زائير	٢٤ سبتمبر١٩٩١- ٧ أكتوبر١٩٩١	-
ساحة المنتصر	هايتي	سبتمبر١٩٩١	-
الجهود المثمرة	بنجلاديش	مايو١٩٩١- يونيو١٩٩١	-
الرحيل الشرقي	الصومال	٢ يناير١٩٩١- ١١ يناير١٩٩١	-
عاصفة الصحراء	جنوب غرب آسيا	-	-
درع الصحراء	جنوب غرب آسيا	٢أغسطس ١٩٩٠- ١٧ يناير١٩٩١	-
الرعد القريب	جنوب غرب آسيا	نوفمبر١٩٩٠	-
القوات المكتشفة	جنوب غرب آسيا	١٧ يناير١٩٩١- ٢٨ فبراير١٩٩١	-
سيف الصحراء	جنوب غرب آسيا	٢٤ فبراير١٩٩١- ٢٨ فبراير١٩٩١	٥٥٥,٠٠٠
الصحراء الهادئة	جنوب غرب آسيا	١مارس ١٩٩١- ١ يناير١٩٩٢	-
وداع الصحراء	جنوب غرب آسيا	١ يناير١٩٩٢- ؟ ١٩٩٢	-
الصندوق الحديدي	جزيرة جونستون	٢٦ يوليو ١٩٩٠- ١٨ نوفمبر ١٩٩٠	-
الجرف الحاد	ليبيريا	مايو١٩٩٠- ٨ يناير١٩٩١	-

• عصر الحرب الباردة

اسم العملية	المكان	التاريخ	قوام القوات الأمريكية
الحل النظامي	الفلبين	نوفمبر - ديسمبر ١٩٨٩	—
عين الصقر	سانت كروز - الجزر	٢٠ سبتمبر ١٩٨٩ - ١٧ نوفمبر ١٩٨٩	—
	العذراء - الولايات المتحدة		—
الراقص النمرودي	بنما	مايو ١٩٨٩ - ٢٠ ديسمبر ١٩٨٩	—
القضية العادلة	بنما	٢٠ ديسمبر ١٩٨٩ - ٣١ يناير ١٩٩٠	—
نشر الحرية	بنما	٣١ يناير ١٩٩٠ - ؟	—
إرادة النسر	الخليج العربي	٢٤ يوليو ١٩٨٧ - ٢ أغسطس ١٩٩٠	—
الفرس المصلية	الخليج العربي	١٧ أبريل ١٩٨٨ - ١٩ أبريل ١٩٨٨	—
الفرن العاصف	بوليفيا	يوليو ١٩٨٦ - نوفمبر ١٩٨٦	—
وادي الدوريدو	ليبيا	١٢ - ١٧ أبريل ١٩٨٧	—
الوصول إلى الوثائق	ليبيا	٢٦ يناير ١٩٨٦ - ٢٩ مارس ١٩٨٦	—
آتشل لورو	البحر المتوسط	٧ - ١١ أكتوبر ١٩٨٥	—
الرؤية الشاملة	البحر الأحمر - خليج السويس	يوليو ١٩٨٤	—
الغضبة الطارئة	جرينادا	٢٣ أكتوبر ١٩٨٣ - ٢١ نوفمبر ١٩٨٣	—
المزارع المجدب	تشاد - السودان	أغسطس ١٩٨٣	—
النداء المبكر	مصر - السودان	١٨ مارس ١٩٨٣ - أغسطس ١٩٨٣	—
القوات الأمريكية المتعددة	لبنان	٢٥ أغسطس ١٩٨٢ - ١ ديسمبر ١٩٨٧	—
النجمة المضيئة	مصر	٦ أكتوبر ١٩٨١ - نوفمبر ١٩٨١	—
خليج سدرا	ليبيا - البحر المتوسط	١٨ أغسطس ١٩٨١	—
الجبال الصخرية	ولاية كلورادو	أغسطس ١٩٨١ - سبتمبر ١٩٨١	—
وسط أمريكا	السلفادور - نيكاراجوا	١ يناير ١٩٨١ - ١ فبراير ١٩٩٢	—
الحراسة اليونانية	بولندا	ديسمبر ١٩٨٠ - ١٩١١	—
القسم الثاني	ولاية كلورادو	مايو - يونيو ١٩٨٠	—
مخلب النسر	إيران	ابريل ١٩٨٠	—
القزم	الشرق الأوسط	مارس ١٩٧٩ - أبريل ١٩٨٩	—
اليمن	إيران - اليمن - المحيط الهندي	٦ ديسمبر ١٩٧٨ - ٦ يناير ١٩٧٩	—
الفتى الأحمر	زائير	مايو - يونيو ١٩٧٨	—
أزمة أوغادين	الصومال - أثيوبيا	فبراير ١٩٧٨ - ٢٣ مارس ١٩٧٨	—
القسم الأول	ولاية كلورادو	١٩٧٨	—
حادث الشجرة	كوريا	١٨ - ٢١ أغسطس ١٩٧٦	—
عمليات الماياقويز	كمبوديا	١٥ مايو ١٩٧٥	—
الحياة الجديدة	فيتنام	ابريل ١٩٧٥	—
الريح الدائمة	تفويج مواطني سايجون	٢٩ - ٣٠ ابريل ١٩٧٥	—

اسم العملية	المكان	التاريخ	قوام القوات الأمريكية
غارة النسر	كمبوديا	١١-١٣أبريل ١٩٧٥	—
العشب النيكلي	الشرق الأوسط	٦أكتوبر١٩٧٣-١٧نوفمبر١٩٧٣	—
أرض الحديقة	داخل الولايات المتحدة	٣٠ أبريل ١٩٧٢-٤ مايو١٩٧٢	—
القلنسوة الحمراء	جزيرة جونستون	يناير - سبتمبر ١٩٧١	—
الشاطئ الأصفر	سون تاي - فيتنام	٢٠-٢١ نوفمبر١٩٧٠	—
اليد المنقوشة	داخل الولايات المتحدة	١٩٧٠	—
أوكس الأحمر	مسرح كوريا	٢٣ يناير١٩٦٨-٥ فبراير ١٩٦٩	—
(حادث مدينة بيبلو)			—
حرب الأيام الستة	الشرق الأوسط	١٣مايو١٩٦٧-١٠ يونيو١٩٦٧	—
المطاردة	أماكن مختلفة	١٩٦٧-١٩٧٠	—
مجموعة القوة	جمهورية الدومنيكان	٢٨ أبريل١٩٦٥-٢١ سبتمبر١٩٦٦	—
التنين الأحمر	الكونغو	٢٣-٢٧ نوفمبر ١٩٦٤	—
بدون	المصانع النووية الصينية	١٥ أكتوبر ١٩٦٣-أكتوبر١٩٦٤	—
أزمة الصواريخ الكورية	كوبا وجميع دول العالم	٢٥أكتوبر١٩٦٢-١يونيو ١٩٦٣	—
حرب فيتنام	فيتنام	١٥ مارس ١٩٦٢-٢٨ يناير ١٩٧٣	—
عمليات ورق الشجر	فيتنام	يناير١٩٦٢-١٩٧١	—
عمليات الرعد القاصف	فيتنام	٢٤فبراير١٩٦٥-أكتوبر ١٩٦٨	—
عمليات القوس المضيء	جنوب شرق آسيا	١٨يونيو١٩٦٥-أبريل ١٩٧٠	—
عمليات قطار الحرية	شمال فيتنام	٦أبريل١٩٧٢-١٠مايو١٩٧٢	—
عمليات جيوب المال	شمال فيتنام	٩ مايو١٩٧٢-٢٣أكتوبر١٩٧٢	—
عمليات الانسحاب العسكري١	شمال فيتنام	١٠ مايو١٩٧٢-٢٣أكتوبر١٩٧٢	—
عمليات الانسحاب العسكري٢	شمال فيتنام	١٨ ديسمبر١٩٧٢-٢٩ديسمبر١٩٧٢	—
عمليات نهاية النصر	شمال فيتنام	٢٧ يناير١٩٧٢-٢٧ يوليو١٩٧٣	—
عمليات الشاطئ الأصفر	شمال فيتنام	٢١نوفمبر١٩٧٠	—
العمليات الخلفية	لاوس	١٩٧٠	—
برلين	برلين	٤أغسطس١٩٦١-١يونيو١٩٦٣	—
لاوس	لاوس	١٩ أبريل١٩٦١-٧ أكتوبر١٩٦٢	—
الكونغو	الكونغو	١٤يوليو١٩٦٠-١ سبتمبر١٩٦٢	—
ميدان تايوان	تايوان	٢٣أغسطس١٩٥٨-١يناير١٩٥٩	—
ميدان تايوان	جزيرتا كويسموي وماتسو	٢٣أغسطس١٩٥٨-١يونيو١٩٦٣	—
الضربة الزرقاء	لبنان	١٥يوليو١٩٥٨-٢٠ أكتوبر١٩٥٨	—
أزمة السويس	مصر	٢٦يوليو١٩٥٦-١٥نوفمبر١٩٥٦	—
ميدان تايوان	تايوان	١١أغسطس١٩٥٤-١مايو١٩٥٥	—
الحرب الكورية	كوريا	٢٧يونيو١٩٥٠-٢٧يوليو١٩٥٣	—
جسر برلين الجوي	برلين	٢٦يونيو١٩٤٨-٣٠ سبتمبر١٩٤٩	—

في هـذه الـحـروب التي خاضتها الـولايـات المتحدة ضد الشيوعية، والإرهاب، والمخدرات، وأحياناً ضد لا شيء والتي تعد بالمئات، وفي المدة الفاصلة بين الهجوم على بيرل هاربر وأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م* فإننا نبدو وكأننا البادئون في الحرب بشكل مباشر أو غير مباشر، وفي هذا كله ندعي أننا الأقوى وسنظل كذلك. أليس ذلك حقيقة لا يمكن أن ننكرها؟

❖ وهناك عمليات عسكرية أخرى بعد ١١ سبتمبر تورطت فيها الولايات المتحدة بدعوى الحرب على الإرهاب، منها الحرب على أفغانستان، والعراق، وغيرها. إضافة إلى اتهامات قوية بضلوع الولايات المتحدة فيما يسمى بـ (الربيع العربي) كجزء من صياغة الشرق الأوسط الجديد. (المترجم).

لماذا أصبحتُ مهتماً بتيمثي ماكفي؟

- تمزيق وثيقة الحقوق
- معنى ظاهرة تيمثي ماكفي

لماذا أصبحت مهتماً بتيمثي ماكفي؟

عندما نكون طرفاً رئيساً في العنف الذي لن يتوقف بين الولايات المتحدة وبقية دول العالم، ونفعل ذلك من منطلق الخلفيات المشوهة عن الآخرين فإنه من السهولة لأي أحد أن يفهم سبب تعرضنا لضربات أسامة بن لادن باسم أكثر من بليون مسلم كانوا عرضة لعمليات عسكرية، كنا أصحاب المبادرة فيها بعد أن وصفتهم وسائل إعلامنا بأنهم شعوب حقيرة وذليلة. هل نتوقع بعد هذا كله أن تكون لدى المسلمين رؤية ودية وصديقة تجاهنا؟

في السنوات الخمس التي سبقت أحداث الثلاثاء الأسود كنت قد فهمت حالة تيمثي ماكفي بشكل جيد.

وبصفتي جندياً متطوعاً في الحرب العالمية الثانية وأيضاً راوية لتاريخنا الإمبراطوري، فإنني في العقود الخمسة التي سبقت حالة ماكفي كنت أظن أنني أحمل رؤية لصراع الموت بين أمريكا (الجمهورية) التي أعتقد أنني أحد المدافعين عنها، وبين أمريكا (الأمبراطورية العالمية)، عدونا القديم. أسامة بن لادن، الغاضب والمستفز، ضربنا من بُعد، تيمثي

ماكفي، الغاضب والمستفز أيضاً، ضربنا من الداخل في التاسع عشر من ابريل عام ١٩٩٥م، كل منهما كان ساخطاً على ما تمارسه حكومتنا من إهانات متكررة للمجتمعات الأخرى، وهو ما يذكرنا بما أسماه المؤرخ الأمريكي العظيم «حرب أبدية لسلام أبدي».

يجب علي أن أقول إنني لا أقبل العمل الذي قام به ماكفي عندما فجر المبنى الفيدرالي في مدينة أوكلاهوما، وذلك لسبب بسيط وهو أن وسائل الإعلام الأمريكية وصفته بأنه جندي متوحش وقاتل ويتلذذ بموت الآخرين. لأنه لا يقبل بمثل هذه الأعمال إلا فاقد العقل والضمير، ولسبب آخر أيضاً وهو أن هنري جيمس الحكيم Henry James كان دائماً يحذر الكُتَّاب من استخدام الأشرار كأبطال في الروايات الحقيقية التي تحدث في الواقع.

كانت حادثة مدينة أوكلاهوما هي التي أثارت اهتمامي، ذلك أنه من الغريب أن تحدث مثل هذه الحوادث في هذه المدينة. في عام ١٩٠٧م أسهم جدي توماس بريور جور Thomas Pryor Gore في انضمام ولاية أوكلاهوما إلى الاتحاد الفيدرالي، وانتُخب سيناتوراً ممثلاً لها حتى عام ١٩٣٧م. أمضيت الأعوام العشرة الأولى في بيته الكائن في حي Rock Green Park بمدينة واشنطن العاصمة أقرأ عليه لأنه كان ضريراً، ونشأت

بين المؤسسين لولايةٍ تُعد أحد معاقل المتعصبين للإنجيل، ولكن جدي كان ملحداً ينكر وجود الله، وهو سر لم أكن أتوقع أن أفشيه يوماً ما. وفي مدة الحرب العالمية الأولى كانت أوكلاهوما أيضاً قاعدة لمنظمة Ku Klux Klan KKK وللحزب الاشتراكي، وهو مكان لتجمع الكثير من الأطياف الفلسفية والفكرية المختلفة. وعندما دمر مبنى موراه Murrah قرأت الاسم خطأً: مواري Murray وهو اسم بيل موراي Bill Murray المؤسس الأول لولاية أوكلاهوما الذي كتب تاريخاً للعالم وهو لم يغادر الولاية أو يقرأ كتاباً واحداً!!

وبمنهجية متقطعة كنت أتابع محاكمة تيميثي ماكفي. صحيفة النيويورك تايمز – صحيفة الحكمة كما تَدَّعي – حملته الذنب والخطيئة منذ البداية، وكنت أعتقد أن التقارير التي تكتبها عنه تنطلق من نية صادقة، ولكني بدأت أشك في تفاصيل الحادثة عندما تشعبتُ في قراءة تقاريرها، وعندما اكتشف عدم مصداقيتها، ولكننا مع الوقت كنا نصدق أن الحادث عمل فردي ارتكبه أحد الشباب بمساعدة محتملة من جون دو John Doe أحد أطراف المؤامرة الذي لم تعثر عليه وكالة المباحث الفيدرالية. وخلاصة السيناريو هو أن ماكفي قاد شاحنة محملة بالمتفجرات إلى مبنى موراه Murrah الفيدرالي وأوقفها بجواره وفجرها في صباح يوم بهيج.

وعندما ثبتت التهمة قال ماكفي إنه فعل ذلك بمفرده انتقاماً من الحكومة التي ارتكبت مجزرة تجاه أتباع الطائفة الدينية التي كان ينتمي إليها في مدينة واكو بولاية تكساس، وقبل أن تصدر المحكمة حكمها عليه اقتبس ماكفي عبارة لبرانديز Brandeis أحد أعضاء المحكمة العليا التي كان يحذر فيها الحكومة ويقول إنها «معلم الأمـة» وعندما تخرق الحكومة القانون فإنها تؤسس لنموذج يستدعي المحاكاة ويؤدي إلى الفوضى والانهيار السياسي.

وفي الوقت نفسه - الذي كانت مختلف مؤسساتنا الحكومية تمحو كثيراً مما ورد في وثيقة الحقوق الشخصية - كتبتُ تقريراً قرأة تيمثي ماكفي وهو ينتظر دوره في طوابير الإعدام في ولاية كلورادو، أرسل لي بعد قراءته للتقرير رسالة جوابية. ثم بدأت المراسلات بيني وبينه وكأنها تمثل دعوة شخصية لي لأن أكون ضيفاً شاهداً على مسرحية إعدامه. وهذه هو التقرير الذي كتبته وقرأه ماكفي في سجنه.

تمزيق وثيقة الحقوق

كثير من الأمريكيين يتذكرون أين وماذا كانوا يفعلون في يوم ٢٠ أكتوبر من عام ١٩٦٤م عندما أعلن عن موت هربرت هوفر Herbert Hoover. لقد توقف قلب الأمة وعقلها. لكن كم عدد الذين يتذكرون متى وكيف انتهت صلاحية وثيقة الحقوق؟ بالنسبة لي، كان ذلك في عام ١٩٦٠م عندما حضرت حفلة في مدينة بيفرلي هيلز Beverly Hillis في ولاية كاليفورنيا عندما سمعت الأخبار السيئة من الممثل القانوني الكوميدي جاري جرانت Gary Grant. كان قد وصل للتو من مدينة نيويورك، وروى أنه قطع تذكرة الطيران من إحدى الخطوط الجوية من أقدم مطارات العالم، مطار إيدلويلد Idlewild (مطار معطل)، وهو الاسم الذي يعكس واقعنا وحالنا، يقول جرانت: «كان هناك بعض الفتيات الجميلات يباشرن العمل في مكتب التذاكر، وكن مبتهجات لمساعدتي، وقعت لهن على كروت الإعجاب ثم سألت إحداهن عن تذكرتي، وفجأة تظاهرت إحداهن بالسمت والوقار والهيبة، ثم قالت: هل معك بطاقة إثبات شخصية؟ أحسست بقشعريرة ثم انتابتني مشاعر الاحباط والفتور وأنا على متن

رحلة طويلة جداً من نيويورك إلى بيفرلي هيلز، تبادلت معها الضحكات الباهتة، ولكني تساءلت ما إذا كان المستقبل قد وضع بصمات قدميه على مقابرنا الجماعية!!».

ومن عجائب الصدف أن يكون جرانت نفسه هو الذي قال: «**إن خصوصياتنا الفردية أصبحت مخنوقة بخيط من قماش قوي**».

هاتفني صديق في لندن صباح يوم ٤ يونيو ١٩٦٣م، وكنا عادة نستخدم أسماء رمزية، ولكنه نسي في مكالمته تلك. عندما سأل عني قلت لمستقبِل المكالمة: حسناً، سانت لويس، ثم انقطع الخط، اتصل مرة ثانية فقال: إن المكالمة لأجلك قلت: حسناً ميلواكي، وهكذا كان عامل السنترال يحب التنصت على الاتصالات الهاتفية، تحدثت مع صديقي عن بعض الأمور التي تخصنا، سألني: ما جديد هوليوود؟ قلت: إن السيدة لانا تيرنر Lana Turner لا تزال في قضيتها مع لاعب كرة السلة الأسود، صاح أحد موظفي السنترال بطريقة مفجعة: لا، لن يكون هذا، فعرفت أن اتصالاتي الهاتفية متنصت عليها».

هذه حالة حدثت للسيد جرانت، وقد اشتُهرت عنه لأنه كان معروفاً، **فما بالك بملايين الناس الذين تخضع اتصالاتهم الهاتفية للرقابة من حيث لا يشعرون**. كان ذلك في عام ١٩٦٣م، أما اليوم، وبدعوى مطاردة المخدرات والإرهـاب،

فإن هناك ما يزيد على مليوني محادثة هاتفية سنوياً تخضع للاختراق الجاسوسي ممن يدعون تطبيق القوانين، ويقول «**الاتحاد من أجل الحريات المدنية الأمريكية**» في تقرير نشره عام ١٩٩٦م: «إن الانتهاكات اليومية للحريات الشخصية خزي وعار على أمتنا...» وكان من نتائج هذا التقرير أن عدد من تمت مراقبتهم الكترونياً زاد بين عامي ١٩٩٠م و ١٩٩٦م من ٨ ملايين إلى ٣٠ مليوناً في العام الواحد، وفي الوقت نفسه فإن العدد التقريبي للموظفين الذين تم التنصت على محادثاتهم الهاتفية هو ٤٠٠ مليون في السنة الواحدة، وهو ما يعادل ٧٥٠ دقيقة جاسوسية.

في عام ١٩٩٠م أخضعت ما نسبته ٣٨٪ من الشركات الكبرى موظفيها إلى تحاليل جسدية بهدف الكشف عن المخدرات، وقبل حلول عام ١٩٩٦م زادت نسبة الشركات التي اتخذت مثل هذا الإجراء إلى ٧٠٪. اللجوء إلى القانون ورفع دعوى ضد مثل هذه الانتهاكات لم يعد مجدياً أو حتى مشجعاً. بل إن المحكمة العليا في كاليفورنيا أيدت تطبيق مثل هذه الإجراءات على الموظفين، ولا ينسحب ذلك على الموظفين المؤتمنين على حراسة طائراتنا أو حدودنا بل حتى على أولئك الذين اضطلعوا بمهمة تطهير البلاد من المخدرات. وذهبت المحكمة إلى أبعد من ذلك، إذ سنّت قانوناً يبيح فحص المتقدمين لطلب

التوظيف للكشف عن المخدرات أو المشروبات الكحولية، أما مدينة جليندیل Glendale في كاليفورنيا فقد اعتمدت تطبيق هذا القانون على الموظفين الذين يتقدمون بطلب الترقية. رفع المواطنون في مدينة جليندیل شكوى قضائية ضد تطبيق هذا الإجراء بحجة أنه انتهاك للتعديل الرابع لقانون الحماية الشخصية الذي يحظر التحري والاعتقال غير القانوني تجاه الأفراد، إلا أن المحكمة العليا في ولاية كاليفورنيا أيدت سياسة مدينة جليندیل، لكن القاضي ستانلي موسك Stanley Mosk كتب اعتراضاً مفاده أن اختبار الكشف عن المخدرات يمثل خرقاً إضافياً وجوهرياً للحقوق الشخصية لطالبي الوظائف ويعد هدراً لكرامتهم، لكن المحكمة لم تتحمل مسؤوليتها في الرد على هذا الاعتراض.

كان من سمات الحرية الأمريكية في الماضي أنه لا يجب على الشخص أن يحمل معه بطاقات إثبات يبرزها عند طلب البوليس أو الأشخاص الفضوليين الرسميين، أما الآن، وبسبب دعاوى الإرهاب، فإن كل شخص عرضة لأن يوقف في المطارات، وعليه أن يبرز بطاقته الشخصية التي تحمل صورته (وهي، والله أعلم، ما لا يمكن لإرهابي أن يزيفها). بعد مقابلة أجريتها مع ستدز تيركل Studs Turkel في شيكاغو كنت أشتكي من مسألة أنه يجب عليّ أن أحمل جواز السفر الخاص

بي حتى أثبت هويتي في بلدي، لأنني لا أحمل رخصة قيادة، وكأنني مواطن في الاتحاد السوفيتي الهالك، أما تيركل فقال إن المسؤولين في أحد مطارات الجنوب طلبوا منه بطاقة إثبات الشخصية، فقال لهم: ليس معي الآن شيء من ذلك باستثناء هذه الصحيفة المحلية التي تحمل صورة كبيرة لي على صفحتها الأولى، فقالوا ليس هذا ما يُعرفك، وبعد أن تعبوا من استجوابي سمحوا لي في النهاية بصعود الطائرة.

أما أنا فقد كنت أتابع مؤخراً الإحصاءات المتعلقة بالإرهاب (وكان معظمها ردود فعل الحكومة لجرائم ارتكبها الأجانب مع مواطنين أمريكيين والتي كانت في زيادة ملحوظة). وقبل حادثة الثلاثاء الأسود لم تكن هناك إلا حادثتان سجلتا ضد إرهابيين دمروا طائرات تجارية أمريكية خلال الاثنتي عشرة سنة الماضية، ولم يحدث هذا في الأراضي الأمريكية.

إن قانون عدم مضايقة المواطنين يبدو وكأنه لا يزال في مراحل نشأته الأولى، فقد ابتكرت السلطات وسائل تقنية ذات كلفة مالية عالية، وربما تظهر قريباً في المطارات القريبة، هذه الوسائل تفحص جسم الإنسان بهدف الكشف عن المواد المهربة، وهي الوسائل التي طورها العلماء والمهندسون الأمريكيون وأطلقوا عليها اسم «نظام فحص المواد المهربة»، تخترق هذه الوسائل الملابس وتعري الجسد، ويمكن للصورة

المكبرة التي تلتقطها أن تكون بين يدي كل شبق يريد أن يشبع رغبته في النظر إلى الأعضاء الجنسية، وخلال هذه العملية فإن الضحية يعتقد أنه لا يزال محتشماً بملابسه وهو مخدوع من حيث لا يدري.

إن المخدرات حتى لو لم تكن موجودة أصلاً فإن المسؤولين سيخترعونها لتطبيق إجـراءات تحريمها وليكون معظم المواطنين عرضة للاعتقال والاستجواب والسجن ومصادرة الممتلكات وغير ذلك من أشكال التعذيب. لقد كتبت في صحيفة النيويورك تايمز في عام ١٩٧٠م النص الآتي:

«إنه من الممكن القضاء على مشكلة إدمان المخدرات في الولايات المتحدة في وقت قصير وقياسي، وذلك بكل بساطة أن نجعل كل المخدرات متاحة للبيع بثمن معين، وأن نضع ملصقاً صغيراً يتضمن وصفة مختصرة بالتأثير - الجيد أو السيء - للمخدر على متعاطيه لكن هذا يحتاج إلى مصداقية وأمانة في عرض الوصفة. لا تقولوا أن «الماروانا» خطيرة ومسببة للإدمان وهي ليست كذلك، وهو ما يعرفه ملايين الناس بعكس أنواع المخدرات الأخرى التي تؤدي إلى موت متعاطيها مثل (الهيروين). ومع النصح والتحذير سيتعلم المواطنون (وللمرة الأولى) أن الولايات المتحدة هي التي تصنع المواطن الواعي الذي يعتقد أن الشخص حر في أن يفعل ما يشاء ما لم يتعارض

ذلك مع حرية الآخرين».

إن الأمريكيين مغرمون بفكرة الخطيئة وعقوبتها بدرجة ترقى إلى مستوى هيامهم بالمال، وجهود مكافحة المخدرات كبيرة جداً بحجم سوق الترويج لها. وبما أن التكامل بين وفرة المال وحب الخطئية مغروس في النفوس، وخصوصاً بين رجال السياسة المحترفين، فإن هذا الواقع لن يزداد إلا سوءاً.

وسائل إعلامنا ما فتئت تستهجن سوق المخدرات وثقافتها، وتلقي باللائمة على الدول الأجنبية المتورطة في سوق العرض والطلب عليها مثل كولومبيا، لكننا أقسمنا – في داخل ذواتنا – على الإخلاص لمثل هذه السوق. في ١٠ يونيو عام ١٩٩٨م قامت مجموعة من الأصوات الشجاعة والمعارضة بالكتابة عن حرب المخدرات في صحيفة النيويورك تايمز، ونشرت في صحيفة داخلية تحت العنوان الكبير الآتي: «أسماء كبيرة توقع على رسالة تنتقد فيها الحرب على المخدرات». البليونير جورج سوروز George Soros جَمَعَ توقيعات لمئات من المشاهير حول العالم في رسالة تؤكد أن الحرب الكونية ضد المخدرات سببت أضراراً للإنسانية أكثر من المخدرات نفسها، وقام مركز ليند سميث Linde Smith Center في نيويورك، الذي أسسه جورج سوروز، بنشر إعلان في التايمز في موقع مميز يلفت الانتباه، وتضمنت قائمة الموقعين على الرسالة وزير خارجية أمريكي

سابق، واثنين من أعضاء مجلس الشيوخ السابقين. وعلى الرغم من أن نشر الإعلان تزامن مع ندوة خاصة عقدتها الأمم المتحدة عن قضية المخدرات أسمتها «الشياطين الحقيقيين» إلا أن هذه الرسالة لم يكترث لها الجنرال بيري ماكفيري Berry McCaffery - مستشار الحرب لدى الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون - الذي وصف الرسالة بأنها تحمل رؤية الخمسينيات الميلادية. ومهما كان المعنى الذي أطلقه الجنرال على الرسالة فإن استخدام المخدرات في عقد الخمسينيات كان أقل بكثير مما هو الآن، على الرغم من الحرب الضروس التي تهدف إلى مكافحتها والقضاء عليها. ومن المثير للفضول أن صحيفة النيويورك تايمز في تقريرها وصفت الموقعين على الرسالة بأنهم حفنة قليلة من الشواذ، في الوقت الذي قالت فيه صحيفة مانشستر جارديان في انجلترا إن من بين الأسماء العالمية التي وقعت على الرسالة رئيس وزراء هولندا السابق، ورئيس بوليفيا السابق، ورئيس كولومبيا السابق، وثلاثة من قضاة المحكمة العليا في الولايات المتحدة، وعدد من رجال الدين الكبار، ومجموعة من المسؤولين عن إدارة مكافحة المخدرات، لكن صحيفة النيويورك تايمز تعلم دائماً ما هو الشيء الذي يستحق النشر.

روبي ريج، واكو، أوكلاهوما سيتي: أسماء لثلاث مدن تشير

إلى قرع أجراس الخطر المنبثقة من قلب أمريكا التي لا يعلم كثير منا شيئاً عنها، وبخاصة سكان الريف. هل تسببت أجراس الخطر في استثارة غضب سكان المناطق الريفية؟ سنعرف الجواب الآن.

في عام ١٩٩٦م عمدت ١٩٧١ شركة أمريكية إلى الاندماج بعضها مع بعض، وهو أعلى رقم لظاهرة اندماج الشركات يشهده التاريخ الأمريكي، وبلغت هذه الظاهرة أوجها في مجال الزراعة منذ عقد السبعينيات الميلادية، إن القاسم المشترك بين ضحايا روبي ريج وواكو وتيمثي ماكفي التي نفذت الحكومة عمليات القتل الجماعي باسمهم، هو الاعتقاد بأن حكومة الولايات المتحدة هي عدوهم الحقود، وأنهم لا يمكن لهم أن ينجوا من قبضتها إلا عندما يختبئون في البراري المقفرة، أو من خلال تفجير المبنى الفيدرالي الذي انطلقت منه أوامر القتل الجماعي، كرد فعل وانتقام لمقتل اثنين من «عائلة الخياطين» الذين قتلوا بدم بارد من قبل المباحث الفيدرالية في روبي ريج.

إذا عدنا إلى وسائل إعلامنا لنتحدث عن إسهاماتها التي أوجدت مثل تلك المآسي فإننا نقول إنها كانت «كريمة» جداً معنا في موضوع المعتقدات الدينية والسياسية «للخوارج الريفيين». إن هناك نازية ملحوظة، متعصبين نصارى

يصفون أنفسهم بالمحافظين على «الهوية النصرانية» وما يعرفون أحياناً باسم «الإسرائيلية البريطانية» كل هذه الأسماء الإنجيلية التافهة قد ضربت بأطنابها تجاه أولئك الذين طردوا من أراضيهم ومزارعهم، ولسنا في حاجة إلى أن نقول إن زعماء النصرانية ودعاتها يهيجون مشاعر الكراهية ويوقدون نيران العنصرية النصرانية والطائفية في التليفزيون، وينفقون - بطريقة غير قانونية - أموال الكنيسة على الحملات السياسية.

نظرية المؤامرة تزدهر الآن في مجال الزراعة والبراري المقفرة بشكل صارخ كما الليالي المضيئة في الشوارع الصاخبة، وضحايا هذه المؤامرة مخدوعون دائماً، بل مستعبدون من المتآمرين. في مقالة له بعنوان: «غضبة موسم الحصاد: لماذا تكون البداية من مدينة أوكلاهوما؟ اكتشف جول ديير Joel Dyer بعض المؤامرات الحقيقية التي وقعت في مدينة أوكلاهوما، لكن المتآمرين خبراء في الابتعاد عن الأضواء وصرفها عنهم. اكتشف ديير مؤامرات حقيقية لا تزال تجري في أرض الواقع وتؤثر على كل فرد في الولايات المتحدة كلها. هناك الآن حفنة من الشركات الزراعية المندمجة التي تعمل لطرد ما تبقى من صغار المزارعين الأمريكيين من أراضيهم ومزارعهم بطريقة غاية في التنظيم والدقة، وهذه الشركات

تدفع لأولئك المزارعين ثمناً أقل من تكلفة زراعة المحصول، وهي بهذا تجبرهم على اللجوء إلى الاقتراض من البنوك التابعة لتلك الشركات المختلطة، وهو ما يتطلب من المزارعين رهن صكوك أراضيهم أو مزارعهم أو - في النهاية - بيعها إلى الشركات الزراعية النهمة. في عام ١٩٦٤م قالت شركات الأغذية العملاقة مثل بيلسبوري Pillsbury وسويفت Swift ، وجنرال فودز General Foods، وكامبيل سوب Campbel Soup لعدد من أعضاء الكونجرس إن المشكلة الكبرى في الزراعة هي كثرة عدد المزارعين. يقول علماء النفس إن أبناء المزارعين عندما ترسلهم عائلاتهم إلى الكليات أو الجامعات فإنهم نادراً ما يعودون إلى حياة العائلة الزراعية، أو كما قال أحد مشاهير الاقتصاد لأحد أعضاء مجلس الشيوخ المشاهير الذي كان متضجراً من تأخر الطائرة في رحلتها الليلية من نيويورك إلى لندن:«إن هذه المشكلة بالتأكيد تضر الزراعة». وفي ذلك العام (١٩٦٢م) حثت لجنة التطوير الاقتصادي الحكومة على إرسال أبناء المزارعين إلى الكليات والجامعات، وكما كان متوقعاً فإن الكثير منهم لم يعودوا إلى حياة العائلة، وبالتالي قدمت الحكومة مساعدتها للمزارعين في البحث عن مجالات أخرى للعمل، تاركة المجال للشركات العملاقة للاستيلاء على أراضيهم ومزارعهم.

وفي هذا كتب ديير Dyer ما يلي: «لقد أصبحت حفنة قليلة من الشركات الزراعية المحتكرة للسوق هي التي تسيطر على استيراد الحبوب وتصديرها، ليس على المستوى المحلي فقط بل على مستوى العالم كله»، وبحلول عام ١٩٨٢م أصبحت هذه الشركات تتحكم فيما نسبته ٩٦٪ من صادرات الولايات المتحدة من القمح.

١٩٩٢م، مدينة بريج بورت، ولاية كونيكتكت.

أوضح تقرير صدر عن هارتفورد كورانت Hartford Courant أن فريق المخدرات النظامي قام بتحطيم المنازل والأسواق التي اقتحمها، إذ اندفع البوليس السري بقوة داخل أحد محال التموين الغذائي المملوك لأحد أبناء الجالية الجاميكية وهم يصرخون بابتهاج: «قفوا أيها العبيد السود ولا تتحركوا»، ودمروا الأدراج والبضائع. عندما قاموا بهذا العمل لم يظهروا أنهم شرطة رسمية، ويقول التقرير إنه على الرغم من عدم عثورهم على شيء باستثناء مسدس مرخص إلا أنهم اعتقلوا المالك واتهموه بالمقاومة غير المشروعة، وذهبوا به، وعندما وصلت القضية إلى القاضي أغفلها وتجاهلها. ويقول تقرير بوفارد Bovard إنه في عام ١٩٩١م ارتدى أفراد من شرطة مدينة جارلاند Garland في ولاية تكساس ملابس وأقنعة سوداء واقتحموا أحد المنازل المتحركة (Mobile home)،

رفعوا المسدسات إلى الأعلى، وكسروا باب غرفة النوم حيث كان يرقد (نيث بالش) مع ابنه الأكبر الذي يبلغ السابعة عشرة من عمره، ادعى رجال الشرطة أن نيث بالش كانت في حوزته أسلحة قاتلة لأنه كان يحمل (طفاية سجائر) في يده اليسرى وهو ما كان سبباً مسوغاً لإطلاق رصاصة عليه أودت بحياته (انتهت تحقيقات الشرطة بأن ما فعله الضابط لم يكن خطئاً).

في مارس من عام ١٩٩٢م قَتَلَ أحد أفراد فريق شرطة سوات Swat Police Team السيدة روبن برات Robin Pratt التي تقطن حي إيفرت Everett في مدينة واشنطن، حيث اقتحموا المنزل وهم يصرخون بطلب اعتقال زوجها، وقد تم اطلاق سراحه لاحقاً بعد أن أظهرت الدعوى أن التهمة الموجبة لاعتقاله كانت خاطئة. وقد وصفت صحيفة سياتل تايمز Seattle Times اللحظات الأخيرة لحياة السيدة روبن برات. تقول الصحيفة: «إن برات كانت مع ابنتها البالغة من العمر ست سنوات وابنة اختها ذات الخمسة أعوام عندما كسرت الشرطة باب المنزل. صاح جندي الصاعقة الشجاع المدعو أستون Aston واقترب منها وأخرج مسدسه، ثم صرخ رجل الشرطة الآخر: استلقي على الأرض، ثم بدأت برات تركع على ركبتها، نظرت السيدة برات إلى أستون ثم قالت: أرجوك لا تؤذي أطفالي، صوب أستون مسدسه ثم أطلق النار عليها فأصابها في عنقها. يقول محامي

العائلة جون ميونستر John Muenster: إن السيدة برات عاشت دقيقة أو اثنتين لكنها لم تستطع الكلام لأن الرصاصة مزقت رقبتها».

يخضع المسؤولون في منظمة آي آر إس IRS الآن لمساءلة حول انتهاكاتهم المتكررة ليس فقط للتعديل الرابع لوثيقة الحقوق بل حتى للتعديل الخامس لها. التعديل الخامس يقضي باللجوء إلى هيئة المحلفين في حالات رفع الدعاوى المتعلقة بالجرائم الكبرى، كما يقضي أيضاً بعدم إكراه أي فرد على أن يثبت التهمة على نفسه، أو مصادرة رزقه، أو حريته، أو ممتلكاته بدون الخضوع للإجراءات القانونية المنصوص عليها، أو نزع الملكيات الخاصة بغرض المصلحة العامة دون تعويض، ولكن منظمة الآي آر إس IRS خلال السنوات الماضية كانت تستولي على الممتلكات، ويعبث أفرادها يمنة ويسرة دون اللجوء إلى هيئة المحلفين، ولو على سبيل المجاملة وحفظ ماء الوجه.

نعود الآن إلى حادثة تفجير المبنى الفيدرالي في مدينة أوكلاهوما. لم يكن هذا الحادث بحجم ما وقع في يوم الثلاثاء الأسود الذي هز الأمة بأكملها، لكنه كان بمنزلة قرع أجراس الخطر لواقعنا المتردي، ونداء إلى كل الشعب الأمريكي لتأمل هذا الواقع الذي لا يرضينا جميعاً، وكما هي العادة فإن وسائل الإعلام استجابت لهذا الحادث من رؤية أحادية لأسبابه. وقد

كانت سطحية في تحليلها للحدث عندما وصفت تيمثي ماكفي بأنه صورة أخرى للشيطان، وشخصية تتمتع بكراهية وخبث غير محدودين، وقالت إن هناك شخصاً مهووساً أيضاً اسمه تيري نيكولز Terry Nichols ثبتت عليه تهمة التآمر مع ماكفي.

نشر الصحفي ريتشارد سيرانو Richard Serrano كتاباً أسماه: «واحد منا .. تيمثي ماكفي وحادثة التفجير في مدينة أوكلاهوما». لقد كنت خائفاً مما قد يتضمنه هذا الكتاب، فليس هناك أي سبب يبرر المذبحة التي نفذتها الحكومة في مدينة واكو وذهب ضحيتها ١٦٨ من الرجال والنساء والأطفال، وهو ما ولد روح الانتقام والعداوة لدى ماكفي تجاه الحكومة الفيدرالية. فلماذا أصدر سيرانو كتابه؟ الحقيقة أن سيرانو لم يكن متعاطفاً مع ماكفي، ولكنه أظهر صدق ماكفي عندما تحدث عن واقع نعيشه ينذر بالشؤم والخطر.

ولد ماكفي عام ١٩٦٨م وينحدر من عائلة ريفية فقدت بعضاً من أملاكها. كان والده بيل Bill أحد أفراد الجيش الأمريكي. عاش مع والديه في مدينة بندلتون Pendleton غربي نيويورك. والده بيل كان يزرع الخضروات وعمل في مزرعة تعود ملكيتها إلى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. يقول بيل إنه عندما نشأ في تلك المدينة كانت كلها مزارع للمواطنين، وقد اختفى نصف هذه المزارع الآن! أما تيمثي ماكفي فقد كان ذكياً بدرجة غير

عادية، وفضولياً أيضاً. كان متفوقاً في دراسته الثانوية، وكان شغوفاً بقراءة التاريخ والدستور. كان مولعاً بالسلاح وراغباً في الالتحاق بالجيش، ثم أصبح أحد جنود المشاة في حرب الخليج التي قادها الرئيس جورج بوش الأب وكأنه ولد ليكون مقاتلاً. لكن الحرب فتحت عينيه على أشياء لم يكن يعلمها. يقول ماكفي إن وسائل إعلامنا بالغت في وصف صدام حسين والعرب والعراقيين وجعلتهم نماذج للشياطين، وعندما ذهبت إلى العراق وجدت أن هؤلاء الناس بشر طبيعيون مثلي ومثلك.

أخبرونا أننا ذهبنا إلى هناك للدفاع عن الكويت وعن الكويتيين الذين اغتُصِبوا وقُتِلوا، كانت الحرب بداية الصحوة التي عشتها.

في الحرب قوانين صارمة تجاه أفراد الجيش الأمريكي الذين يقيمون علاقة ودية مع أفراد العدو. لكن ماكفي اختلط بالعراقيين وكتب إلى صديق له الرسالة الآتية: «.. كان يأتينا الأطفال وأحياناً الكبار يتوسلون من أجل لقمة عيش تسد رمقهم.. لقد كانوا يظهرون مشاعر عاطفية في محاولة الحصول على هذه اللقمة فيكون أحدهم مثل جرو الكلب الذي يدور حولك وأنت على مائدة الطعام، بل كانوا أشد من ذلك، ولكني أحاول مغادرة المكان خوفاً على نفسي كلما تذكرت أن الأطفال قتلوا بعض الجنود في حرب أمريكا في فيتنام، **وقد**

لاحظ سيرانوا أنه مع قرب بداية الحرب ضد العراقيين شعر ماكفي أنه يجب أن يتذوق طعم قتل الأبرياء، وكان دائماً يختبئ بين الرمال حتى لا يجد نفسه مجبراً على إيذاء أحد أو أن يتولد لديه الإحساس بكراهية الآخرين.

بعد انتهاء الحرب ترك ماكفي الخدمة العسكرية واشتغل بمهنة غريبة، إذ أصبح مهتماً بالنظرية اليمينية المتطرفة المبنية على الشك في الآخرين، وهي النظرية التي أطلق عليها «ديلر» «دين المؤامرة». أما زميله في الجيش تيري نيكولاس فقد كان الموجه لماكفي والمرشد له.

حصل كلاهما على كتاب اسمه «الخصوصية»، يصف كيف يمكن للشخص أن يغيب عن أعين الحكومةويختفي، ومنها أن يختبئ تحت الأرض وينشغل بتصنيع السلاح. هناك غير ماكفي ونيكولاس من فَعَلَ الشيء نفسه، ومنهم عائلة ويفر Weaver Family، الذين عاشوا في مدينة روبي ريدج النائية بولاية ايدهو. كان راندي ويفر Randy Weaver شخصاً معتوهاً وانفصالياً يدين بالنصرانية أراد أن يعيش وعائلته بعيداً عن الشعب الأمريكي، وهو ما كان يمثل تحدياً لوكالة المخابرات الفيدرالية FBI. عندما رفض أن يمثل أمام المحكمة لإنهاء قضية ثانوية تتعلق بحيازته لأسلحة نارية قامت وكالة المخابرات الفيدرالية بقتله خنقاً في ٢١ أغسطس ١٩٩٢م، حتى كلبه

عندما نبح قتلوه. وعندما أطلق ابنه البالغ من العمر أربعة عشر عاماً النار باتجاههم قتلوه أيضاً برصاصة في مؤخرة رأسه. أما زوجته التي كانت تحمل طفلها فقد قام قناص المخابرات الماهر لون هوريتشي بإطلاق رصاصة مميتة على رأسها أودت بحياتها عندما حاولت فقط الاقتراب من الباب. وبعد ذلك بسنة تخلصت الحكومة من طائفة «الديفيديين» Davidians.

بالنسبة لتيميثي ماكفي فقد كانت ATF (منظمة الكحوليات والتبغ والأسلحة النارية) تمثل رمزاً للظلم والقتل غير المبرر. ولأنه يعاني من شعور مبالغ فيه بمبدأ العدل، وهي صفة ليست شائعة في الأمريكيين، فقد اختار أن يبدأ الحرب بنفسه، وهي الحرب التي أدت إلى مقتل الكثير من الأبرياء الذي تجاوز عددهم ضحايا المجزرة الحكومية في مدينة واكوا بولاية تكساس. هل كان ماكفي يعلم ما كان يفعله عندما فجر المبنى الفيدرالي في مدينة أوكلاهوما؟ إلا أنه كان يمثل معقل الكراهية؟ لقد كان ماكفي ملتزماً الصمت في أثناء محاكمته. وعندما جاء موعد إصدار الحكم القضائي عليه سألته المحكمة إن كانت لديه كلمات أخيرة يريد قولها. وقف ماكفي وقال: أتمنى أن استخدم عبارة القاضي برانديز Branderis لتتحدث عني. لقد كتب برانديز ما يلي: «حكومتنا هي المعلم الأزلي ذو السلطة المطلقة الذي يعلم الناس الخير

أو الشر بالطريقة التي يختارها وبالأمثلة التي يقدمها»، ثم صدر الحكم عليه بالإعدام.

معنى ظاهرة تيمثي ماكفي

في مكان إقامتي في إيطاليا طلب مني مراسلو شبكة تليفزيون ABC، وتليفزيون CBS أن أتحدث في برنامجين على الهواء إلى الشعب الأمريكي في «دولة الإله» الولايات المتحدة، حول قضية ماكفي.

كان ذلك في شهر مايو الماضي (٢٠٠٢م)، كان تيمثي ماكفي، أحد أبطال حرب الخليج، قد حكم عليه بالإعدام في مدينة ترهوت بولاية إنديانا لأنه فجر المبنى الفيدرالي، وهو الحادث الذي راح ضحيته ١٦٨ من الرجال والنساء والأطفال. كانت تلك أكبر مجزرة للأمريكيين يرتكبها أمريكي، بعد سنتين من تدمير المجمع الذي كان يقطنه أتباع الطائفة النصرانية التي تقول بعودة المسيح ثانية ونهاية العالم في مدينة واكو بولاية تكساس. كان «الديفيديون»، كما أسموا أنفسهم، مجموعة مسالمة من الرجال والنساء والأطفال يعيشون مع بعضهم ويصلون معاً بانتظار نهاية العالم التي ستكون في ٢٨ فبراير ١٩٩٣م. المنظمة الفيدرالية للكحول والتبغ والأسلحة النارية التي كانت تنفذ الأمر الرسمي للحد من امتلاك الأسلحة

النارية، رفضت كل مطالب زعيم الطائفة ديفيد كورش David Koresh لفحص أسلحتهم التي كانت مرخصة، واختار أفراد المنظمة مهاجمة الكنيسة التي كانوا يتعبدون فيها دون إنذار مسبق بينما كانت طائرة الهليوكوبتر التابعة للمنظمة تقصف أسطح المنازل الرئيسة التي كان يحويها المجمع. قتل في هذا اليوم ستة من أتباع الطائفة الديفيدية، بينما قتل أربعة من أفراد المنظمة بطلق ناري خاطئ من أصدقائهم، كما قيل.

عمدت المنظمة إلى إبقاء المجمع بعيداً عن أعين الناس وحاصرته لمدة واحد وخمسين يوماً، بينما كانت الموسيقى الصاخبة تعمل أربعاً وعشرين ساعة على حدود المجمع حتى لا يسمع الناس ما يحدث بداخله. بعد ذلك قطعت المنظمة الكهرباء ومنعت وصول المواد الغذائية إلى الأطفال، وفي هذه المدة كانت وسائل الإعلام تقدم أخباراً مختصرة عن الشيطان ديفيد كورش وتصفه بأنه يضع الخرافات ويروج لها، وتصفه بأنه ... ماذا يمكنني أن أقول أيضاً؟

المحامية العامة الجديدة جانيت رينو Janet Reno أصبحت أشد شراسة إذ طلبت من وكالة المخابرات الفيدرالية أن تكمل ما بدأته المنظمة. وفي تحد واستخفاف بقانون الأمن والنظام (الحصن المتين لحرياتنا الهشة الذي يحظر استخدام القوة العسكرية ضد المدنيين) هاجمت مدرعات الحرس الوطني

في ولاية تكساس بمساندة القوة السادسة للجيش المجتمع معقل الطائفة واستخدمت الغاز المميت للأطفال والمؤذي جداً للكبار. هرب بعض أتباع الطائفة الديفيدية، وبعضهم أطلق عليه النار من قبل أفراد وكالة المخابرات الفيدرالية.

بعد ست سنوات من هذه الحادثة أنكرت وكالة المخابرات الفيدرالية التحقيقات التي اتهمتها بقتل أتباع الطائفة الديفيدية وقالت إنها لم تستخدم إلا الغازات النارية، شهد اللّه أنه لم يصب أي من أفراد وكالة المخابرات الفيدرالية بينما قتل في الحادثة أكثر من ثمانين من أتباع الطائفة الديفيدية، منهم سبعة وعشرون طفلاً. لقد كان نصراً عظيماً للعم سام كما أرادته وكالة المخابرات الفيدرالية.

لم تعترف المحامية جانيت رينو بخطأ تصرفهم تجاه هذه القضية إلا في برنامج «ستون دقيقة» الذي بثته شبكة تليفزيون CBS في ١٤مايو عام ١٩٩٥م إذ قالت: إنها شاهدت ما حدث ولو كانت تعلم أن ذلك سيحدث بالطريقة التي رأت لما فعلته.

إن حادثة مدينة واكو التي وقعت في ١٩ أبريل ١٩٩٣م أثبتت أنها أكبر مجزرة للأمريكيين ارتكبتها حكومتهم منذ عام ١٨٩٠م حين قتل عدد من المواطنين الأمريكيين في ولاية داكوتا الجنوبية، بعدها كان ثمن هذه الجريمة الحكومية يزداد على مر السنين.

وعلى الرغم من أن ماكفي أشار إلى أنه فجر المبنى الفيدرالي في مدينة أوكلاهوما كرد فعل على جريمة الحكومة في مدينة واكو إلا أن الحكومة ومعها حلفاؤها العاملون في وسائل الإعلام تجاهلوا هذه الحقيقة وركزوا على تشويه الصورة الذهنية لماكفي، بوصفه رجلاً ذا نزعة شيطانية متأصلة، أراد تدمير حياة الأبرياء، دون مسوغ عقلاني.

في برنامج «صباح الخير أمريكا» الذي تبثه شبكة تليفزيون ABC واجهتُ الكاميرا على كرسي غير مريح، أخبروني أن دايان سوير Diane Sawyer المذيعة ستحاورني من استوديو المحطة في نيويورك وتفاجأت أن المحاور هو تشارلز جيبسون Charles Gibson الخبير بماكفي. مما قلته في ذلك البرنامج أن ماكفي الذي لم أقابله قط دعاني لأكون واحداً من الخمسة الذين دعاهم ليشهدوا لحظة إعدامه، أعتقد أن سبب ذلك هو المقالة التي كتبتها حول تمزيق وثيقة الحقوق والأمثلة التي استعرضتها عن تجاوزات منظمة الضرائب، التي صادرت ممتلكات المواطنين دون حق أو مساءلة قانونية، وعن جرائم القتل التي ارتكبتها منظمات مكافحة المخدرات وراح ضحيتها الأبرياء، وعن تورط الحكومة مع رجال الاقتصاد الزراعي ومحاولتهم طرد صغار المزارعين من أراضيهم، أو التضييق عليهم، وغير ذلك من الأمثلة، وتحدثت أيضاً عن جريمة القتل

غير القانوني في مدينة روبي ريج في ولاية أيداهو التي نفذتها وكالة المخابرات الفيدرالية، ثم عن المجزرة التي ارتكبتها الحكومة في مدينة واكو في العام الذي تلاه. وعندما قرأ ماكفي ما كتبت وهو في سجن كلورادو كتب إلى رسالة قال فيها.

في تلك المقابلة التي أجريت معي في مقر إقامتي في إيطاليا ذكرت على الهواء مباشرة الكلمة التي لا يمكن أن تقال: لماذا؟ وأتبعتُها بالقنبلة الذرية: واكو، بدأ المحاور تشارلز جيبسون يتضايق ثم قال: لحظة من فضلك.. بدأ يقاطع الحديث بشكل صارخ ولكني استرسلت ولم أتوقف، فجأة سمعته يقول لي: هناك خلل فني في الاتصال، ثم قطع سلك الكهرباء الذي يربطني بمحطة التليفزيون.

هزّ فني الصوت الذي يقف بجانبي رأسه وقال: إن تقنية الصوت تعمل بشكل ممتاز، هو الذي قطع الاتصال. حسنا، إذا كانت الحكومة هي التي مزقت وثائق الحقوق رقم ٤، ٥، ٦، ٨، ١٤ ، فإن السيد جبسون قضى على الوثيقة الأولى المقدسة بالنسبة للإعلاميين.

لماذا حدث هذا؟ جبسون، كبقية زملائه مقدمي البرامج التليفزيونية، أراد أن يخبر المشاهدين أن عضو مجلس الشيوخ السابق جون دان فورث John Danforth قد أنهى تحقيقات استمرت أربعة عشر شهراً مع وكالة المخابرات الفيدرالية

برأها فيها من أي فعل خاطئ في قضية مجزرة واكو.

في شهر مارس من عام ١٩٩٣م قاد ماكفي سيارته من أريزونا إلى واكو ليشاهد بنفسه عن كثب الحصار الفيدرالي، وقامت وكالة المخابرات الفيدرالية بالتقاط صور له مع مجموعة من المتظاهرين. في مدة الحصار كان أتباع الطائفة الديفيدية مجبرين على سماع الأغاني التي كانت تعمل طوال اليوم بدون توقف، يستمعون إلى المغنية نانسي سناترا وهي تقول: «هذه الأحذية صنعت للمشي، ليس إلا .. الأقدام التي تنتعلها ستمشي على جسدك...»، وأيضاً أغنية «موت الأرانب». كل ذلك يحدث والشعب يتذكر حرب جورج بوش الأب غير المعلنة على بنما والأغاني التي كانت تتردد خارج سفارة الفاتيكان، والتي سبقت اعتقال مروّج المخدرات (الموظف السابق في وكالة المخابرات الفيدرالية)نورييجا الذي أصبح لاجئاً في الولايات المتحدة. إن حكومتنا مثل قنواتنا التليفزيونية، عندما تضرب فإنها تعيد الضربة مرات وكرات.

دون شك، فإن مشاهدي التليفزيون لم يعودوا قادرين على فهم حقيقة مذيعي التليفزيون الذين يلجأون إلى المماحكة والمقاطعة لأي ضيف يحاول أن يفسر للمشاهدين لماذا تحدث الأشياء. هل يعني هذا أن هناك مؤامرة تدار؟ مهما كان الجواب فإن عليكم أن تعلموا أن الرمز المتعارف عليه لتهميش

الضيف بأية طريقة هو أن يلوي مقدم البرنامج جسده ثم يتبع ذلك بصوت خافت جداً من أنفه (يشبه الشخير) ثم ينظر إلى الكاميرا ليقول إن الضيف غير مرغوب فيه.

هذه إحدى الطرائق التي لا يعيها العامة والتي يلجأ إليها «المتآمرون»، سواء كانوا في التليفزيون أو في وكالة المخابرات المركزية، أو في المحكمة العليا،وهي بالتأكيد طريقة مضمونة لحجب المعلومات الحقيقية عن الجمهور، وهي وظيفة تمارسها المؤسسات الإعلامية العملاقة.

لكن دعونا نعودة مرة أخرى إلى مؤامرة وكالة المباحث الفيدرالية عندما حاولت التعمية على جريمتها في واكو. إن السناتور دان فورث شخص محترم، وكذلك كان رئيس القضاة إيرل وارن Earl Warren لكن نتائج تحقيقات لجنة دالاس لم تكن مقنعة حتى بالنسبة للسناتور نفسه. في اليوم الأول من شهر يونيو قال دان فورث لصحيفة الواشنطن بوست: «في يوم ما سيعدم ماكفي، لا أدري متى، وبعد ذلك سيكون العثور على صندوق المعلومات»، وأنا أقول للسناتور: لا، لن يتمكن أحد من معرفة الحقيقة.

وفي اليوم نفسه نشرت صحيفة النيويورك تايمز رواية لوكالة الأسيوشيتدبرس الإخبارية جاء فيها، أن محامي الطائفة الديفيدية إدَّعى أن موظفي وكالة المخابرات الفيدرالية عندما

أطلقوا النار على أتباع الطائفة استخدموا طلقات بندقية سريعة لم يتم اختبارها. لكن المتحدث باسم الوكالة جون كولنجوود John Collingwood قال إنه بعد فحص سجلات الوكالة تبين أن ذلك السلاح خضع للاختبار. كانت إجابة دان فورث تجاه هذا الإدعاء جيدة إلى حد ما، قال إنه لم يتعاون معه موظفو الوكالة بالشكل المطلوب. ونذكر هنا ما قاله منكن Mencken في هذا الصدد: «إن وزارة العدل تورطت في ممارسات عنيفة منذ عهد مبكر وستظل اليوم مصدراً خصباً للظلم والفساد. إنه يصعب علينا أن نتذكر حكومة واحدة من الحكومات التي تعاقبت على الأمة خالية من الفضائح المهلكة».

قدمت شبكة تليفزيون CNN مشاهد من صباح اليوم الأخير لماكفي، وعندما سئلت: «ألم يتأسف ماكفي لقتله الأبرياء؟ قالت: «كان يمكن قول ذلك ولكنه لن يقصد المعنى الظاهر». كان ماكفي مقاتلاً في حرب لم تكن من صنعه. وصفه أحد كتاب السير الشخصية بأنه كان مخلصاً لخطيئته. لاحظ ماكفي أن الرئيس الأمريكي الأسبق هاري ترومان لم يكن على الإطلاق نادماً أو متأسفاً لإلقاء قنبلتين ذريتين على هيروشيما ونجازاكي على الرغم من أن اليابان كانت وقتها مهزومة ولا تحتاج إلى مثل ذلك الدمار الذي راح ضحيته أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ نسمة، أكثرهم من النساء والأطفال. ادعت وسائل الإعلام أن ذلك

حدث من ترومان في وقت حرب، لكن ماكفي كان يعتقد أنه في حالة حرب أيضاً، اتفقنا معه أو لم نتفق. إن نظرية «الضربة التي لا ترحم» التي سنّها هاري ترومان أصبحت الآن معلماً مهماً من معالم نظامنا الإمبراطوري العالمي، الذي بدأ يتبلور مؤخراً. كان الناس يعتقدون أن ترومان ألقى القنبلتين من أجل أن يحفظ حياة الأمريكيين. وهذا خطأ فقد عمد ترومان إلى ذلك حتى يرعب عدونا الجديد آنذاك وهو ستالين.

في إحدى الرسائل المتبادلة بيننا كتب لي ماكفي ما يلي: «السيد فايدال: إذا كنت قرأت الكتاب الذي صدر مؤخراً بعنوان (الإرهابيون الأمريكيون) فقد تفهم أنك دقيت المسمار في الرأس في مقالتك عن (حرب في الوطن). يسعدني أن أرفق لك بعض المعلومات التي يمكن أن تؤيد وجهة نظرك حول الموضوع». ومن بين الوثائق التي أرسلها ماكفي ورقة نشرت في موقع شبكة تليفزيون ABC على الإنترنت، وهي عبارة عن حوار الطبيب النفسي لتيمثي ماكفي الدكتور جون سميث John Smith من خلال وسيط قام بإجراء الحوار في ٢٩ مارس ٢٠٠٢م، لم تكن هناك إلا جلسة واحدة بين ماكفي وطبيبه قبل ست سنوات من هذا التاريخ. وعلى الرغم من القسم الذي أداه سميث بعدم إفشاء أو تسريب أية معلومات عن حالة ماكفي إلا أن السلطات سمحت له بالتحدث لمؤلفي كتاب (الإرهابيون

الأمريكيون) وهما لو ميشيل Lou Michel ودان هربك Dan Herbeck.

سأل الوسيط الطبيب النفسي السؤال الآتي: قلت إن ماكفي لم يكن مشوش الذهن أو مجنوناً، وأنه لا يعاني من عاهة عقلية فلماذا - في رأيك - أقدم على ارتكاب مثل هذه الجريمة؟

أجاب الدكتور جون سميث: «حسناً، لا أعتقد أنه ارتكب فعلته لأنه كان مجنوناً أو لديه تفسيرات خاطئة للحقيقة والواقع.. لقد كان حساساً جداً، وأقول ذلك للذين يتهمونه بأنه يشك أو يرتاب في الآخرين، ومتأثراً بما فعلته الحكومة. لجأ ماكفي إلى ذلك السلوك كنوع من الثأر والانتقام من الهجوم على واكو. إضافة إلى ذلك فإن ماكفي أراد أن يبعث برسالة سياسية للحكومة الفيدرالية تتضمن معارضته لاستخدام القوة ضد المواطنين. وللإجابة عن سؤالك فإن ما فعله ماكفي كان اختياراً تم بوعي وعقلانية من جانبه، وليس بسبب أنه كان مشوش الذهن أو مجنوناً».

وعندما طلب الوسيط من الطبيب النفسي أن يلخص له حالة ماكفي أجاب: «كنت أتحدث مع نفسي دائماً وأقول: لو لم تكن هناك مجزرة في واكو لما كان هناك تفجير في مدينة أوكلاهوما».

وأخيراً أود أن أذكر أن ماكفي أرسل لي رسالة طويلة بخط

يده بتاريخ ٤ أبريل ٢٠٠١م قبل أسابيع قليلة من إعدامه. يقول ماكفي في رسالته:

«إنني أشرح هنا لماذا فجرت المبنى الفيدرالي في مدينة أوكلاهوما، لا أفعل ذلك لأجل الشهرة ولا لأنتصر في الجدل القائم بين صحة الفعل أو خطئه. إنني أقوم بذلك لتبقى الرؤية واضحة في تفسير ما فعلته في أوكلاهوما. اخترت أن أفجر المبنى الفيدرالي لأن هذا الفعل يخدم أهدافاً لا يمكن أن تحققها الخيارات الأخرى. ما فعلته هو رد فعل وانتقام للغارات التي شنتها الحكومة الفيدرالية في الأعوام السالفة، ليس على مدينة واكو فحسب بل وعلى غيرها أيضاً. منذ إنشاء المنظمات المختلفة مثل منظمة «إنقاذ الرهائن» التابعة لوكالة المخابرات الفيدرالية وارتكاب تلك المنظمات هجمات غير أخلاقية في عقد الثمانينيات وحتى الآن التي بلغت أوجها في الهجوم على واكو، وتلك الممارسات الفيدرالية المشينة في ازدياد مستمر متخذة أشكال الهجوم العسكري أو العنف وسيلة لتحقيق غاياتها. فكيف نفسر استخدام الحكومة للدبابات العسكرية ضد مواطنيها؟

لقد أصبح موظفو الحكومة «مقاتلين» من أجل تحقيق نواياهم وغاياتهم، مستخدمين في ذلك كل وسائل التدريب العسكري، والخطط والتجهيزات والمعدات والملابس العسكرية، حتى

اللغة التي كانوا يخاطبون بها المواطنين كانت لغة العسكر والمقاتلين، وكانوا فوق ذلك كله يُصَعدَّون ممارساتهم تلك. وتأسيساً على ذلك فقد كان انفجار أوكلاهوما يهدف إلى إيصال رسالة إلى تلك القوات وقادتها ومراكز التحكم في المبنى الفيدرالي في أوكلاهوما.

من الطبعي جداً أنه عندما توجه قوة معتدية ضرباتها المتواصلة من قاعدة معينة أو من مكان عمليات محدد، فإنك توجه ضربة مضادة إلى ذلك المكان أو تلك القاعدة. لقد قررت، بعد أن قرأت إحدى الصفحات المتعلقة بسياسة الولايات المتحدة الخارجية، أن أبعث رسالة إلى الحكومة التي كانت تفجر كل شيء بطريقة عنيفة من خلال تفجير مبنى حكومي وقتل موظفين حكوميين يعملون في مدينة أوكلاهوما ما هو رد طبعي واستراتيجي لتفجير حكومة الولايات المتحدة مبان كثيرة في صربيا، والعراق، أو غيرهما من الدول. وبناء على وجهة نظر «حكومتي» رأيت أن هذا الفعل هو خيار مقبول ومعقول. ومن خلال وجهة النظر هذه فإن ما حدث في مدينة أوكلاهوما لا يختلف عما تفعله الحكومة عندما تمطر رؤوس الناس بقنابل متنوعة في كل وقت وحين.

إن تفجير المبنى الفيدرالي في أوكلاهوما ليس عملاً شخصياً، مثله مثل موظفي القوات الجوية أو الجيش أو البحرية

أو المارينز عندما يلقون بالقنابل أو يطلقون صواريخ كروز على المباني التابعة لحكومات أجنبية ويذهب ضحيتها موظفون تابعون لها أو يعملون فيها.

آمل أن يكون فيما ذكرت إجابة واضحة لسؤالك».

المخلص

تيمثي ماكفي

سجن مدينة ترهوت، انديانا

انتهت رسالة ماكفي.

والآن هل أدركتم ماذا تعني ظاهرة تيمثي ماكفي؟

السقوط

عندما تختلق وسائل إعلامنا صورة كرتونية لترمز إلى «بطل قومي» أو «شيطان أمريكي» فإنها لا تلتفت بعد ذلك إلى وجهات النظر المخالفة لها. رؤيتي الوسطية والعقلانية لماكفي فسرت على أنها تأكيد لحادث انفجار مدينة أوكلاهوما. قال بعضهم إنني رحبت بماكفي كونه «مقاتلاً من أجل الحرية» وهو مصطلح، كما عرفتم، لم استخدمه على الاطلاق. كان الواضح أنني اتفقت مع وجهات نظر الطبيب النفسي لماكفي الذي قال: «لو لم تكن هناك مجزرة في واكو لما كان هناك انفجار في مدينة أوكلاهوما». وبناء عليه فإن الباحث عن الحقيقة يجب أن يركز على العوامل الواضحة التي أدت إلى كارثة المجزرة التي ارتكبتها الحكومة الفيدرالية في واكو، على أساس أن أي شيء تفعله الحكومة إنما تفعله باسمنا جميعاً. ما فعله ماكفي هو تصرف شخصي لأسباب تستحق أن ننتبه لها وأن نفهمها لأنه يمثل، بطريقة أو بأخرى، الملايين ممن يعيشون في وسط أمريكا.

في المقابلة الأصلية التي كتبتها عن هذا الموضوع اقتبست – بشكل مطول – من جول داپير أكثر مما فعلت في هذا الكتاب.

لقد أمضى داپير سنوات يتتبع المتآمرين الذين شاركوا

ماكفي في حادث التفجير. هناك من قال إن العراق متورط في القضية، **وهو تبرير قدم للوقحين من الناشطين في اليمين المتطرف،، المتلهفين على حرب ضد العراق وإيران والصومال، أو أي بلد إسلامي يرفض الطاعة والولاء للولايات المتحدة**، لكنني والسيد داببر كنا جاهزين لتقديم رؤيتنا ونتائجنا حول قضية التفجير إلى وكالة المخابرات الفيدرالية، حتى ولو كانت الرؤى أو النتائج غير مرغوبة. كان السيد لويس فريه Louis Freeh ، الشخصية الغامضة، قد ترك منصب مدير وكالة المخابرات الفيدرالية وتولى بعده آر إس ميولر R.S. Mueller وهو الذي أعددته له الرسالة التالية التي قرأتها في «برنامج اليوم» الذي تبثه شبكة NBC ولم أذكر فيه أسماء القياديين وضمنته أرقام وثائق وتقارير وكالة المخابرات الفيدرالية التي جمعها داببر خلال جلسات متعددة في المحكمة.

السيد ميولر - مدير وكالة المخابرات الفيدرالية

أهنئك بمناسبة تعيينك مديراً لوكالة المخابرات الفيدرالية، وأعتقد أنه من أولياتك أن تعيد الصورة الذهنية المشوهة لوكاة (فريه) إلى ما كانت عليه قبله. إننا ننظر إليك بنظرة أهل المدينة إلى الغريب. أخذاً بهذا في الحسبان، هل يمكنني أن أقترح إجراء تحقيقات مخلصة لحادث تفجير مدينة

أوكلاهوما؟ إنني أقدم لك قائمة بـ ٣٠٢ تقرير من التحقيقات التي أدعتها الوكالة والتي آمل أن تجد فيها ما يسرك بعدما تجاهلها المدير السابق السيد لويس فريه.

المعلومات المتعلقة بمعرفة حالة ماكفي (٣٠٢) تقرير

وثيقة رقم ١ – ٠٠٥٢٩٠٠٠

وثيقة رقم ١ – ١٦٥٩٨٠٠٠

وثيقة رقم ١ – ٠٠٤٤١٢٠٠

وثيقة رقم ١ – ٠٠٤٦١٣٠٠١

وثيقة رقم ١– ٠١٦٤١٧٠٠١

وثيقة رقم ١ – ٠٠٦٣٣٣٠٠١

وثيقة رقم ١ – ٠١٥٠٤٠٠٠٠١

وثيقة رقم ١ – ٠١٥٠٤٢٠٠١

وثيقة رقم ١ – ٠١٥٠٣٩٠٠

وثيقة رقم ١– ٠١٥٠٤١٠٠١

وثيقة رقم ١ – ٠٠٤٦٢٣٠٠١

وثيقة رقم ١ – ٠٠٤٦٢٢٠٠١

Russell Rose وثيقة رقم (غير مسموح بها)

وثيقة رقم ١– ٠٠٧٩٣٦٠٠١

وثيقة رقم ١ – ٠٠٨٥٩٧٠٠١

وثيقة رقم ١ – ٠١٥٨٣٠٠١

وثيقة رقم ١ - ٠١٦٠١٦٠٠١

وثيقة رقم ١ - ٠٠٧٩٨٦٠٠١

ورقة رقم ١٥٠٠٤ الوثيقة رقم (غير مسموح بها)

عندما تراجع هذه التقارير تجد أنها مستخلصة من المقابلات التي أجرتها الوكالة مع موظفي إدارة تنفيذ القوانين في ولاية كانساس، وشهود عيان، والمخبرين السريين، وأعضاء من قوات الطوارئ النظامية، وغيرهم. هذه التقارير في مجموعها تتضمن، من بين أشياء أخرى، معلومات عن أربعة من الرجال، وسكان يقطنون شرقي ولاية كانساس في الوقت الذي وقع فيه حادثة التفجير، معروفون بأنهم راديكاليون معارضون لحكومة الولايات المتحدة.

اسمح لي أن أقدم لك ملخصاً مختصراً لتلك التقارير.

المجموعة الأولى: من التقارير تتعلق بشاهد العيان الوحيد لمجموعة العناصر المتعلقة بحادث التفجير في يوم ١٧ أبريل ١٩٩٥م أو قريباً من هذا التاريخ. كان شاهد العيان في مدينة جيري ليك Geary Lake وتعرف على شخص واحد ومعه أشخاص غير معروفين. وهم يقومون بنقل السماد الكيميائى من شاحنة زراعية إلى شاحنة تتبع شركة ريدر Ryder.

المجموعة الثانية: من التقارير تتعلق برجل تم التنصت عليه قبل أسابيع من حادث التفجير وهويقول: «هناك من

سيقوم بذر الرماد في العيون حتى يؤدي تيمثي ماكفي مهمته»، ولوحظ أيضاً أن هذا الشخص بعينه اقترح القيام بأعمال إرهابية متعددة قبل حادث تفجير المبنى الفيدرالي في مدينة أوكلاهوما وبعده. في الحقيقة إن وكالة المخابرات الفيدرالية اعتقلته لاحقاً بسبب مؤامرة كان بصدد تنفيذها. آمل أن يخبرك موظفوك عن هذا الرجل.

المجموعة الثالثة : من التقارير تصف بالتفصيل رجلاً قيل إنه خطير جداً، وراديكالي يكره الحكومة، ويعتقد أنه قام بتفجير كيميائي في أرضه في ولاية كانساس قبل الإنفجار الكيميائي في مدينة أوكلاهوما. لن تجد صعوبة في معرفة مكان هذا الرجل لأن وكالة المخابرات سبق أن تعاملت معه مرات عديدة في السنوات الماضية.

وحتى تحفظ وقتك الثمين، وكما أنني متأكد بأنك مشغول في تنظيف الوكالة من آثار سلفك السيد فريه، فإني أرجو عندما تطلب ملف ذلك الرجل أن تطلبه بالرقم الأصلي للملف وهو (W٩٢٤٣٧٦٤٨٤) الموجود لدى وكالة المخابرات وأن تدرك أنك ستواجه صعوبة في العثور عليه. والسبب كما أخبرت، وأن رقم هذا الملف قد وضع بطريقة غامضة ومشبوهة لحالة في ولاية نيوجيرسي لا تتعلق بالقضية، وأن هناك أرقاماً جديدة وُضِعَت لمعرفة ملف الرجل. ولك أن تتساءل ماذا يعني هذا؟!

المجموعة الأخيرة: من التقارير تتضمن معلومات من إدارة تنفيذ القانون في ولاية كانساس تصف رجلاً راديكالياً معارضاً للحكومة يعيش في المدينة نفسها التي عاش فيها تيري نيكولز المتهم بأنه المتآمر الوحيد مع ماكفي.

ستجد اسمه أيضاً مذكوراً في أشرطة الفيديو التي صادرتها وكالة المخابرات الفيدرالية عندما عثرت عليها في مزرعة إخوة نيكولز في ولاية متشجان. أعتقد أن أشرطة الفيديو تصفه بأنه صديق شخصي ومقرب من مدير منظمة الأمن Posse Comitatus ورقم هاتفه كان في محفظة نيكولز عندما تم اعتقاله.

بالإضافة إلى المعلومات السابقة، فإن تلك التقارير تشير إلى أن أولئك الرجال كانت لهم علاقات مع «ميلشيات ميتشجان» والوطنيون من «أريزونا» وهما منظمتان معاديتان للحكومة، وهما المنظمتان اللتان التحق بهما ماكفي قبل حادث تفجير المبنى الفيدرالي.

إلى هنا أشعر بأنني قلق، وأتوقع أن كل أمريكي مخلص عنده هذا الإحساس أيضاً. وبناء على تحليل كل الأدلة المقدمة خلال جلسات المحكمة فإنه يظهر لي أن وكالة المخابرات الفيدرالية غير مكترثة لمثل هذه المعلومات على الرغم مما عُرف عنها من متابعتها الدقيقة لأية معلومات حساسة في قضايا أخرى.

لم تقابل وكالة المباحث ذلك الرجل المتهم، ولم تطرح عليه حتى السؤال التقليدي: أين كنت في ١٩ أبريل. ولم تتصل به ولو بالهاتف! كل المتهمين لم تتم مساءلتهم بأية طريقة، ولم يتم التأكد من أرقام سياراتهم. لو تمت مساءلة أولئك الرجال الأربعة لتأكدت وكالة المخابرات أن لهم علاقة مباشرة بكل الممارسات التي تتم عن معاداة الحكومة.

أنا متأكد بأنك سوف تتفق معي في الرأي القائل بأن معرفة العلاقات المشبوهة لأولئك القادة ربما تساعدنا في معرفة الذي قام بذلك الفعل في ذلك اليوم التعيس من أبريل.

إضافة إلى ذلك قدم ثلاثة أشخاص مختلفون اسم شخص آخر تربطه علاقة بالمنظمة التي ذكر اسمها في تحقيقات وكالة المخابرات، ولم ترد أسماء هؤلاء الثلاثة ولا اسم المشتبه فيه في تقارير الوكالة.

أنا لا أقول إنني متأكد بأن أولئك الرجال كانوا طرفاً في المؤامرة التي ذهب ضحيتها ١٦٨ من المدنيين الأبرياء، لأنه من الصعوبة أن أصل إلى نتيجة مبنية على التحقيقات الفاشلة لوكالة المخابرات الفيدرالية، بل إن مثل هذه التحقيقات لا تساعد على الوصول إلى فروض محتملة عن الفاعلين. إنني ببساطة أشير إلى أن إصرار الحكومة على ترديد مقولة «إننا نتابع كل من له علاقة بالحادث» ومقولة: «ليس هناك دليل صادق

على أن هناك أشخاصاً آخرين متورطين في الحادث» ليس مبنياً على دليل، بل على معلومات قسم العلاقات العامة المتوتر في وكالة المخابرات الفيدرالية. وكما قال السناتور دان فورث قبل إعدام ماكفي: «بعد الإعدام سنعثر على صندوق معلومات في مكان ما يتضمن شواهد لم تعلن من محامي الدفاع لماكفي».

والآن بعد أن انتقل ماكفي إلى عالم آخر فإنني متأكد بأن اختيار وجهة نظري المقدمة لإيضاح تفاصيل الحادث ستكون صعبة للغاية بالنسبة لوكالة المخابرات الفيدرالية. هل كانت تحقيقات ناقصة لأن الوكالة تجاهلت استجواب مثل أولئك الرجال؟ أم أن هناك مجالاً للفساد أكثر من ذلك يتمثل في التكتم على الشواهد خلال عملية البحث عن المتهمين، وهو عمل إجرامي يعاقب عليه القانون؟ على أية حال. أعتقد أن الشعب الأمريكي، وبخاصة أولئك الذين لحقهم الأذى جراء ذلك التفجير المميت، يستحق أن نقدم له كل التفاصيل الصادقة. أرجوك أن تجيب في أسرع وقت.

المخلص

جور فايدال

Care Of Vanity Fair

Times Square, 22 nd Floor 4

New York, NY10036

أيها السادة القراء إذا كنتم متلهفون لسماع إجابة السيد مدير وكالة المخابرات الفيدرالية فيؤسفني أن أقول إنها محبطة، لم يرد السيد المدير على رسالتي. وعندما سألتني شبكة تليفزيون NBC ألا تشعر أنك بتقديمك لمثل تلك المعلومات تزيد من معاناة أهالي أوكلاهوما؟ قلت: إنني أفعل ذلك لأحفظهم وأحفظ الدولة كلها من معاناة مستقبلية لأن أعداء الولايات المتحدة كثيرون وجاهزون لشن هجمات علينا في أي وقت.

الثيوقراطيون الجدد

١٨ يونيو ١٩٩٧م، يوم من أيام الخزي والعار الذي سيبقى في تاريخ صحيفة وول ستريت جورنال، التي تمثل أهم صحيفة على مستوى العالم كله، إذ وضعت هذه الصحيفة نفسها موضع الوقاحة أمام الشعب الأمريكي بأكمله. في ذلك اليوم أعادت الصحيفة نشر إعلان سبق أن نشرته صحيفة النيويورك تايمز (الصحيفة التي لا تنشر من الأخبار إلا ما يتفق وسياستها)، وكتبت عنه افتتاحية عنوانها «الأخلاقيات الحديثة»، وهو موضوع أعتقد أنه غريب على الُمثُل الأخلاقية ومخالف للمعايير السلوكية لأي من الصحيفتين. لم يتعلق الموضوع بما يعرفه الأمريكيون عن الأخلاق، ما هو صحيح منها وما هو خاطئ، أو عن سرقة الأموال، أو مصادرة الحريات. لقد كانت «الأخلاقيات الحديثة» عن الجنس، الجنس فحسب، تضمن العنوان كلمات جنسية صريحة وصارخة. ونشر هذا العمل الصحفي في الأسبوع الذي ترك فيه أحد جنرالات الجيش وظيفته بعد تورطه في جريمة الزنا بفتاة تبلغ الثالثة عشرة من عمرها، عندما كان يرأس بعثة من ١٤٧ مقاتلاً في فيتنام (تذكرون أن أمريكا أسمت حربها في فيتنام بالحرب الجيدة). صحيفة وول ستريت جورنال نشرت الخبر من منطلق أن الجنرال، أو الفتاة أو أي

مقاتل آخر لن يعاقب بسبب جريمة الزنا إذا كانت في غير وقت المعركة أو ساعة مهاجمة العدو. ثم أوردت الصحيفة قصة أخرى لفتاة من ولاية نيوجيرسي ولدت طفلاً في الحمام أثناد حفلة راقصة في المدرسة الثانوية التي تدرس فيها، ثم حملت الطفل وألقت به في سلة النفايات وعادت إلى الحفل تطلب من القيّم على اختيار الموسيقى والأغاني، أن يضع أغنية «الطفل ميت» هدية لصديقها وهي من أغاني (ميتاليكا Metallica)، وعندما وجهت التهمة للفتاة بقتل نفس بريئة قال مجلة التايم إنها امرأة تبلغ الثامنة عشرة من عمرها.

وفي صورة حديثة لها تقف إلى جانب عشيقها في إحدى الحفلات الراقصة بدت الفتاة وصديقها وكأنهما في مقتبل العقد الثالث من عمرهما. الذي ظهر لي أن صحيفة وول ستريت جورنال تعمدت إظهار الفتاة على أنها امرأة وليست طفلاً بريئاً ذهب - كغيره - ضحية للقيم الليبرالية في أمريكا، التي تقول بعدم التدخل في الحياة الشخصية للآخرين.

إن هذا الفساد الأخلاقي دفعني لأن أعبر باستياء عن هذا الموضوع وأندب الواقع الذي نعيشه.

ليست لدينا نصيحة مثالية حول الكيفية التي يمكن أن نخلص بها الدولة نفسها من مستنقع الفوضى الجنسية.

إن قضية الفوضى الجنسية لا تحل بمثل النصائح الساذجة

التي تطلب من الفتيان والفتيات استخدام (الغطاء المطاط) أثناء ممارسة الجنس ليتجنبوا حالات الحمل والإجهاض أو قتل الوليد، بل لابد من إعادة النظر في «التعليم الجنسي» الذي أورث مثل هذه الحالات. لقد أباح مديرو المدارس الثانوية استخدام هذه الوسيلة في المدرسة وكأنهم يعطون الضوء الأخضر لممارسة البغاء في دور التعليم، بل جعلوه متاحاً حتى في دورات المياه في مدارسنا الثانوية.

إن البدهية التي تنتج من هذا التوجه هي أن مدارسنا ستكون مسرحاً لجرائم الزنا.

ما سبق ذكره هو مثال واحد على حالة الفوضى التي تعيشها البلاد، فبينما يتوسع الليبراليون في مفاهيم الحقوق الشخصية، نجد أن اليمين المسيحي يتشدد بطريقة ممقوتة، وهو صراع أدى إلى ظاهرة «الفوضى السياسية» التي نعيشها الآن في مجالات عديدة. إن قراءة هذا الواقع تذكر بما كتبه العالم الأفلاطوني فيجو Vigo عندما تحدث عن مراحل نشوء المجتمعات الإنسانية. وقال إنها تبدأ بمرحلة الفوضى، ثم الحكومة الدينية، ثم الديموقراطية. في هذا الوقت الذي يشطح فيه الليبراليون في مفاهيمهم نجد أن الجمهوريين في حكومتنا يستبدون ويظلمون وهم بذلك يقودون البلاد إلى الدمار، وذلك ما يعيدنا مرة أخرى إلى المرحلة الأولى التي

تحدث عنها فيجو وهي مرحلة الفوضى، ثم إلى الحكومة الدينية. إن الولايات المتحدة الآن امبراطورية جمهورية تعيش حالة فوضى وتسير في الاتجاه الخاطئ.

ويبدو أننا نعيش المراحل المبكرة لعهد الحكومة الدينية. ومن المنطقي أن كل من يهتم بجمهوريتنا القديمة، مهما كانت حالة التصدع التي تعيشها سيختار الحكم الديني بديلاً عن حالة الفوضى، مهما كانت الحكومة الدينية قاسية وصلفة كما هي موجودة في أبشع صورها الوحشية الهمجية في إسرائيل وفي بعض الدول الإسلامية مثل أفغانستان.

المعركة بدأت الآن تتضح بين الليبراليين والحكومة الدينية، أو المتعاطفة مع اليمين المسيحي المتطرف. في ١٨ يونيو شجب القساوسة الجنوبيون في مؤتمرهم السنوي شركة ديزني وشبكة ABC التليفزيونية التي تتبعها لأنها قدمت امرأة شاذة بحسبانها إنساناً سوياً، ولأنها تستمتع بعرض روايات ومشاهد العنف، وتسخر قيم العائلة المسيحية. كنت قد انتقدت شركات ديزني لسعيها إلى الهيمنة على منافسيها، لكنني الآن يجب أن أويد هذا الأخطبوط الذي يواجه التحدي. إن هذا هو الوقت الذي يجب أن ترمي شركة ديزني بكل ثقلها في ميدان المعركة مع هؤلاء القساوسة المعمدانيين الذين هم بحاجة إلى أن يلقنوا درساً قاسياً عن القوانين الدستورية لا ينسوه أبداً.

لقد أعطينا الكنيسة حقوقاً لا تستحقها مثل إعفائها من الضرائب على مواردها، وحان الوقت لأن تلغي الدولة مثل هذه الميزات وهو ما يتفق مع المبدأ الذي قام عليه دستور البلاد في إقصاء الكنيسة عن السياسة، وعدم منحها الفرصة لأن تفرض خرافاتها ومعتقداتها علينا. لكن اليمين المسيحي المتطرف ومن ورائه الكنيسة يمارس الآن إلغاء هذا المبدأ، وقد لا أحتاج في هذا السياق إلى أن أستشهد بترشيح القس بات باترسون نفسه لمنصب الولايات المتحدة.

الذي يبدو أن الكونجرس عاجز عن وقف تيار الحكومة الدينية المتنامي في مؤسساتنا السياسية، ولذلك فإن المطلوب هو سرعة التحرك لتنقيح الدستور بما يعزز فصل الكنيسة عن السياسة، ومعاملة الكنيسة كغيرها من مؤسسات الدولة بعدم منحها امتيازات لا تستحقها، ومنها إعفاؤها من الضرائب على إيراداتها، علماً بأن الدستور الأصلي لم يرد فيها ما ينص على مسألة إعفاء الكنيسة أو المعابد الدينية من الضرائب.

رسالة يجب أن تصل

كتب هـذه الرسالة قبل أيـام من انتخاب الرئيس الجديد للولايات المتحدة في موسم انتخابات عام ٢٠٠٠م. كتبتها لأننا نواجه الآن الأسلوب الياباني في الحكم في القرن السابع عشر عندما كان الأمبراطور مسلوب الصلاحيات وموجهاً من نائب الرئيس ومستشاري الدفاع من جنرالات الحرب:

السيد الرئيس المنتخب:

أهنئك بفوزك في الانتخابات وأتطلع كغيري من المواطنين إلى الخطاب الذي ستوجهه إلى الأمة بهذه المناسبة. وكما تعرف فإننا لم نستمع إلى خطابات كثيرة منك خلال الحملة الانتخابية للفوز برئاسة الأمة العظيمة، كما يقول سبيرو أجنيو Spiro Agnew. أما الآن وقد أصبحت رئيساً وبمناسبة الخطاب الذي ستوجهه للأمة فإني آمل أن تتقبل بعض الاقتراحات التي سأعرضها عليك. بدون مقدمات أقول: إنني مصاب بالصعقة لإحساسي أنه منذ الخمسين سنة الماضية ونحن نشعل أوار حروب لا نعرف غايتها ولا نهايتها وهو ما عبر عنه المؤرخ تشارلز بيرد بقوله: «حرب أبدية لسلام أبدي».

السيد الرئيس: أتصور أن كثيراً من الأمريكيين يريدون

أن ينقلوا اقتصادنا من حالة الحرب إلى حالة السلام. ومن الطبعي أننا جميعاً نحب أن نقف صفاً واحداً لخدمة بلادنا. لا نريد أيضاً أن تصرف إيرادات الضرائب على قطاع الصحة فحسب، لأن ذلك يعني الشيوعية التي نمقتها جميعاً، بل نرغب أن ننفق بعض هذه الإيرادات على التعليم. تذكر ما قلته في مناظرتك لمنافسك في الانتخابات: «التعليم هو المفتاح للألفية الجديدة». كلنا رددنا معك هذه المقالة.

وعلى أية حال يجب أن نتوقف عن ممارسة دور شرطي العالم. نحن الآن نحارب المخدرات في كولومبيا، ونزعم أننا وضعنا كوبا والعراق وصربيا تحت حالة «تصحيح الأوضاع». **إن مثل هذا التدخل السافر والشامل في شؤون الدول الأخرى هو عمل غير مجد وثمنه باهظ، ومن الأفضل لنا أن نلتفت إلى بلادنا وأن نجري بعض «الإصلاحات الداخلية»** كما كان هنري كلاي Henry Clay يردد باستمرار.

ولكن من أجل أن تفعل ذلك فإن أول وأعظم مسؤولياتك هي أن تحد من نفوذ أباطرة الحرب في البنتاجون ورفاقهم المتآمرين معهم في الكونجرس وباقي المؤسسات الرسمية في كل أمريكا.

منذ أن أنهار الاتحاد السوفيتي وهو يبحث عن مكان له في النظام الرأسمالي، وأباطرة الحرب في البتاجون يبحثون

عن عدو جديد لهم بهدف إيجاد مسوغ للزيادة المطردة في ميزانية الدفاع. لا شك أن هناك إرهاباً يجب أن نحاربه، وهناك مخدرات يجب أن نتصدى لها ولن ننتصر في حربها، ومؤخراً ظهرت دول تمثل محاور الشر تقصدون بها كوريا الشمالية والعراق وإيران، بينما ترون **أن هناك أكثر من بليون مسلم في العالم وتصورونهم للناس على أنهم مخبولون ومتطرفون ويسعون إلى تدمير كل خير على الأرض**، وتقولون إن «الخير» هو نحن.

وحيث إننا وجهنا ضربات لأعدائنا فإن البنتاجون يتوقع - عاجلاً أم آجلاً - أن الأشرار سيسحقون مدننا من سفينة فضائية، ربما! ولذلك يقولون يجب تفعيل «دروع الحرب النووية الفضائية» الذي اقترحه رونالد ريجان بتكلفة ٦٠ بليون دولار، على الرغم من اختبار فاعلية نظام الدرع يشير إلى الفشل الذريع مهما حاول البنتاجون تزييف النتيجة. وقبل ذلك فإن الولايات المتحدة أنفقت أكثر من ٧,١ تريليون دولار على ميزانية «الدفاع الوطني» في المدة من عام ١٩٤٩م إلى ١٩٩٩م ونتيجة لهذا الإنفاق الهائل فإن العجز في الميزانية بلغ ٥,٦ تريليون دولار، منها ٣,٦ ترليون دولار من أموال الشعب، وترليوناً دولار مديونية لحساب الأمن الاجتماعي وصناديق الرعاية الصحية، كل هذا حدث بسبب الإنفاق العسكري.

السيد الرئيس المنتخب:

حيث إن أرقام وزارة التجارة تشير إلى تلاعب واضح بالأموال فإن من المستحسن أن تصلك تقارير صادقة عن الإيرادات والصادرات. في السنة الماضية أخبرتنا الحكومة كذباً أن الإيرادات كانت أكثر من ١,٨ ترليون وكانت المصروفات أقل من هذا الرقم فمن أين جاء العجز المقدر بما يقارب ٩٠ بليون دولار؟

وعلى الرغم من أن الإنفاق العسكري كان في هذا العام أقل منه في الأعوام المنصرمة على غير العادة، فإن نصف ميزانية الدفاع أنفت على حروب لم تأت بعد، وعلى ضرب مصنع الأدوية في السودان. بلغت المنصرفات النقدية على الشؤون العسكرية ٤٥٥ بليون دولار. أنا متأسف إن كنت قد أزعجتك بمثل هذه الإحصاءات لكنها قد تكون سبباً للإفلاس. لقد أبهجتنا إدارة الرئيس بيل كلينتون عندما وعدت بأن فائض الميزانية سيكون ١,٨ ترليوناً في العقد القادم، لكن تبين أن ذلك كان ضرباً من الوهم والخيال.

سيدي:

إذا كنت ستخدم أمريكا والعالم الذي تعده رهينة لديها، فعليك أن تقلل من صلف العسكرية الأمريكية وأن تعاقب المسؤولين عنها. في سبتمبر الماضي أوضح قائد القوات

الأمريكية المشتركة الجنرال إتش، إتش. شيلتون H.H.Shelton أننا بحاجة إلى إنفاق أكثر وليس أقل، وبخاصة على قوات المارينز التي تحتاج إلى ١,٥ بليون دولار سنوياً، إضافة إلى الميزانية المخصصة لها، والجيش يحتاج إلى ٣٠بليون دولار، وسلاح البحرية ٢٠ بليون دولار، والقوات الجوية ٣٠ بليون دولار، وتطلب هذه الأموال في ظل عدم وجود عدو واضح، لقد صرفنا أكثر من اثنين وعشرين ضعفاً مما صرفه أعداؤنا المحتملون وهم كوبا وإيران والعراق وليبيا وكوريا الشمالية والسودان وسوريا مجتمعة. يجب عليك أن تمنع مزيداً من الأموال التي تؤدي بنا إلى الإفلاس والدمار.

السيد الرئيس المنتخب:

بما أنه لا يزال هناك وقت للعمل فإنني أقترح أن تبدأ في تسوية العلاقات بين الدولة والدفاع، وأن تجعل السياسات العسكرية أكثر عقلانية مماهي عليه الآن، وبخاصة ما يتعلق بدرع الحرب الفضائية النووية التي اقترحها رونالد ريجان، والمفترض أن تطلع الشعب الأمريكي على بعض أسرار البنتاجون. في عام ١٩٩٥م كنا ندرب قواتنا على صواريخ مواجهة إلى أكثر من ٢٥٠٠ هدف، واليوم فإننا من أجل أن نحتفل بإشاعة السلام في العالم فإن أبناءنا يتدربون على صواريخ موجهة إلى أكثر من ٣٠٠٠ هدف حول العالم، منها ٢٢٦٠ هدفاً في روسيا،

والبقية موجهة إلي الصين ودول الشر الأخرى، وعلى الرغم من أن الرئيس بيل كلينتون تحدث بصراحة عن الحاجة إلى تقليص الأهداف النووية الخطيرة إلا أن البنتاجون يجعل هذا العالم غير آمن لكل أحد.

لقد حذرنا الرئيس ايزنهاور من تنامي منشآت الصناعات العسكرية، وهناك روايات وبرامج تعرضها وسائل الإعلام تتحدث عن الإنفاق الضخم والباهظ على الدفاع، ونلحظ بداية جدل حول مشروع رونالد ريجان المتعلق بدرع الحرب الفضائية النووية، لكننا لم نسمع حتى اليوم نقاشاً حول دور الجيش والقوات المسلحة، وما يمثلانه من تهديد لحياة الأمة ومستقبلها، والفضل في ذلك يعود لكبار المسؤولين الذين تعودوا على صرف أموال الناس على صواريخ لا تستطيع ضرب أهدافها، وعلى قنابل لا تنطلق في المطر. أعضاء الكونجرس، الذين يفترض أن يكونوا صوتاً للجماهير، لا يستطيعون أيضاً الحديث عن هذه القضية لأنهم مستفيدون مالياً من شركات الصناعات العسكرية التي تمتص أموال الضرائب التي يدفعها الشعب.

لقد كان الرئيس كلينتون أقدر الرؤساء المتأخرين اهتماماً بالقضايا الاقتصادية لأنه كان ضليعاً في هذا المجال، ولأنه حاول بطرائق مختلفة أن يتفادى مأساة حرب فيتنام، فقد

كان دوماً في حالة قلق وانزعاج مع القوات المسلحة. وعندما حاول أن يفي بوعده للناخبين الشواذ بالحفاظ على حياتهم الشخصية وعدم الاعتداء عليهم، صرخ أباطرة الحرب بأن تحقيق هذا الوعد يمثل هدماً للأخلاقيات، فتراجع الرئيس عن وعده. وعندما صعد كلينتون على حاملة الطائرات يو إس إس ثيودور روزفلت لأداء التحية العسكرية وثب البحارة شُعّث الرؤوس يحيونه بطريقة تنم عن السخرية والاستهزاء بالرئيس.

إن مثل تلك الإهانات للسلطة المدنية تعكس وقاحة القوات المسلحة وغطرستها وسلوكها الوحشي غير المؤدب. يجب أن نتعقب كل هؤلاء اليوم ونضعهم تحت الأقدام.

في هذا الصيف قدم أباطرة الحرب في البنتاجون مذكرة لوزير الدفاع عن برامجهم المستهدفة. جرت العادة أن مثل هذه المذكرة هي عبارة عن قائمة بالأمنيات التي تقدم بشكل ودي ولطيف. وقبل شهر سبتمبر تحولت قائمة الأمنيات إلى إنذار قاس لوزير الدفاع وصفها أحد الضباط الكبار بقوله: «إن أباطرة الحرب في البنتاجون يطلبون ميزانية للقوات المسلحة مبنية على استراتيجتها المقبلة وليس على احتياجاتها المتوقعة». وعلى الرغم من أن تلك الاستراتيجيات خلال الخمسين سنة الماضية كانت كارثة بالنسبة لنا، فإن ما يطلبونه الآن يعني انتزاع أكثر من ٣٠ بليون دولار من الحكومة

سنوياً زيادة على ما خصص لها، بالإضافة إلى أكثر من ٥١٪ من الميزانية الحالية المخصصة لحالات الحرب.

السيد الرئيس المنتخب:

أنصحك أن تنقل مكتبك من الجناح الغربي في البيت الأبيض إلى مبنى وزارة الدفاع لتشعر على الأقل بالرضا، لأنك حاولت أن تفعل شيئاً لنا، نحن الشعب المغيب عن الواقع حتى اليوم.

في هذا الوقت ومع ازدياد تمر الحرس الامبراطوري في البنتاجون فإننا ندخل مرحلة جديدة وخطيرة. **وعلى الرغم من أننا دوماً نصنف المجتمعات الأخرى ونصفها بأنها تمثل دول الشر، فإننا نحن أنفسنا أصبحنا أكبر دولة للشر. أصبحنا لا نحترم المعاهدات الدولية، ونطأ بأقدامنا المحاكم الدولية، ونوجه ضربات أحادية الجانب لأي جهة نختارها، نعطي أوامر للأمم المتحدة ولا نقوم بواجباتنا تجاهها، نشتكي من الإرهاب وامبراطوريتنا هي أعظم دولة إرهابية على وجه الأرض.** نمطر دولاً بالقنابل، ونغزو أخرى، وندمر ما نختار من الدول دون وجه حق، **إن شعب الولايات المتحدة هو المصدر الأصلي لتشريعات السلطة في هذه الدولة، لكنه الآن شعب مغيب حتى عن اجتماعات الكونجرس. الكونجرس نفسه مختطف الآن من الجنرالات العاملين في الآلة العسكرية الامبراطورية. إن الشعب الأمريكي المغيب عن الحقيقة**

هو ضحية الحكومة العسكرية، يتساوى في ذلك مع شعوب بنما والعراق والصومال. لقد سمحنا لكل مؤسساتنا أن تكون عرضة للنهب باسم الامبراطورية الأمريكية العالمية، وهو مخالف لكل ما كان في عقلية المؤسسين الأوائل عندما كافحوا لبناء هذه الدولة. أعتقد أنه من الصعوبة بمكان أن نحاول إعادة الدولة التي خسرناها منذ نصف قرن مضى.

وعلى الرغم من ذلك كله - السيد الرئيس المنتخب - فلا تزال هناك فرصة لأن تفعل شيئاً لنا ولبلادنا، عليك أولاً أن تكبح جماح «أباطرة الحرب في البنتاجون»، وأن تقلص من الإنفاق العسكري، وهو ما يجعلك رئيساً محبوباً عند شعبك لأنك بعد ذلك تستطيع أن تخفض من الضرائب. عليك أيضاً أن تحرر البلاد الأمريكية من العبء الواقع على الضرائب الصغيرة. في عام ١٩٥٠م كانت فوائد الضرائب الفيدرالية التي تعود على البلاد بالنفع تمثل نسبة ٢٥ ٪ من الدخل الفيدرالي، أما في عام ١٩٩٩م فقد بلغت نسبة ١٠,١٪ فقط. وأخيراً وكما أننا متأكدون أنك لم تنتخب بواسطة الشعب وإنما بفضل الأموال الضخمة المستنزفة من إيرادات البلاد فإن القرار الحاسم قد حان و قته. حاول أن تستثمر المدة الأولى من رئاستك للبلاد لتفعل لنا شيئاً ولا تفكر في المدة الثانية. وقبل ذلك كله فإنك إذا نجحت في الجهة الأخرى من نهر بوتوماك (مقر البنتاجون)

ستكون بطلاً ورمزاً للشعب الأمريكي. أما إذا أخفقت، أو في أسوأ الحالات لم تفعل شيئاً، فإنك ستكون آخر رئيس للبلاد يتوقف التاريخ في عهده عن وصف هذه البلاد بالديمقراطية التي تعني حكم الشعب، وستكون كل المقولات الجميلة التي نرددها أثراً بعد عين. عليك أيها السيد الرئيس المنتخب أن تحفظ لنا ما تبقى من حرياتنا وأن تدافع عنها.

Vanity Fair

December, 2000

ملحوظة: (من المؤلف)

السيد الرئيس الذي انتخبته المحكمة العليا عين وزيراً سابقاً للدفاع رئيساً لأحد المعسكرات، وآخر برتبة جنرال وزيراً للخارجية، بالإضافة إلى نائب الرئيس الذي كان وزيراً سابقاً للدفاع، وبذلك تكون جميع التذاكر قد نفذت ونحن الآن - كما يقول الرئيس - في حرب طويلة، قد تؤدي إلى النهاية.